هكذا صام رسول الله صلى الله عليه وسلم

الدكتور محمد عبده يماني

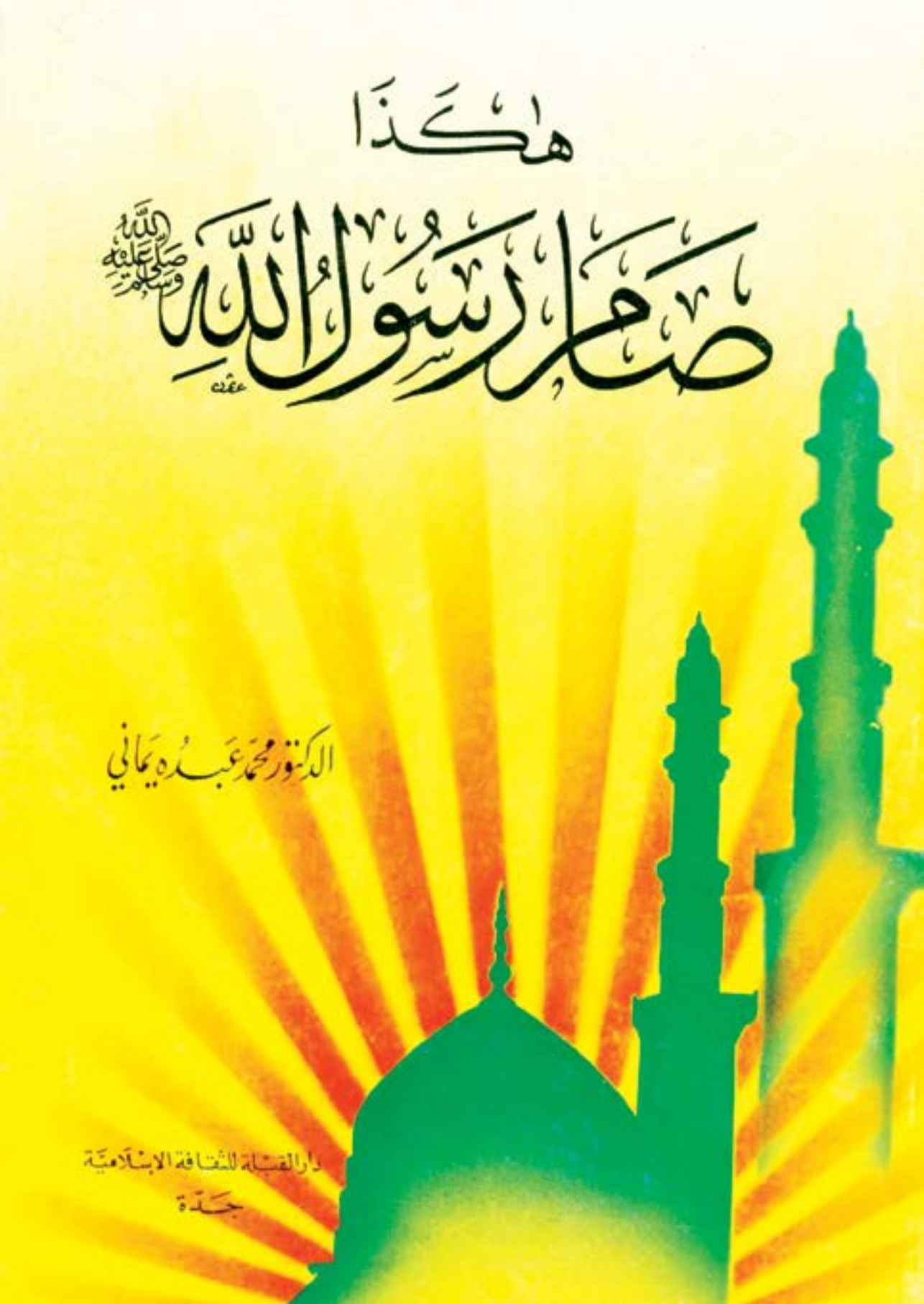

دار القبلة للثقافة الإسلامية
جدة

هكذا

صامَ رَسُولُ الله ﷺ

هٰكذا
صامَ رَسُولُ اللّٰه ﷺ

الدكتور محمّد عبدُه يَماني

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أكرمنا بنعمة الإسلام وبعث إلينا خير الأنام وجعله ﷺ الأسوة الحسنة في كل أقواله وأحواله وأفعاله وفي كل شأن من شؤونه في توحيده وإيمانه، وفي صلاته وصيامه، وفي حجه و اعتماره، وفي قنوته وقيامه، وفي جوده وسخائه، وفي جهاده وعبره وفي بيته وبين أهله وأصحابه، وفي حلمه وتواضعه وعفوه، وفي دعوته وتبليغه وفي سائر شؤونه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب: ٢١]، والحديث عن فريضة الصيام لا ينفك عن حياته وهديه ﷺ فعنه تلقت الأمة فرائض الله على عباده، ومن جملتها فريضة الصيام، ومنه تعلمت أحكامه، ولهذا وجب التأسي برسول الله ﷺ ؛ لأنه يمثل الاتباع الصادق للقرآن الكريم، ويجسد العمل بآياته فقد كان خلقه القرآن وكان هو الصورة العملية لتعاليم القرآن والترجمة الدقيقة الأمينة لآياته، ولهذا فقد دعانا ﷺ لأخذ القدوة عنه في أقواله وأفعاله وعباداته حين علمنا : «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»[(١)].

ولقد حرصت في هذه الحلقات على تبسيط هذا الجانب المشرق من سيرته ﷺ امتثالًا لأمره:« **نضَّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها إلى من لم يسمعها فرب حامل فقه لا فقه له ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه**» [(٢)].

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أبو داود والدارمي والترمذي وابن ماجه بصيغ مختلفة.

وهذا ما ينبغي أن تدركه هذه الأمة إدراكًا عميقاً، وأن تدرك أن تأسيها بهذا النبي واقتداءها به في كل شأن من شؤون حياتها هو السبيل الوحيد لنهوضها من كبوتها وعودتها إلى مراقي العزة التي افتقدتها، وعليها كذلك أن تشمِّر عن سواعد الجد والصدق والوفاء لهذه العقيدة، ذودًا عن حياضها، ورفعًا للوائها، ولن يكون ذلك إلا بالعودة الصادقة ، إلى كتاب ربها ﷻ، وسُنَّة نبيها ﷺ، فقد تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك وكان القدوة لأصحابه في حياته، وبعد مماته وللتابعين من بعدهم، ومن تبعهم بإحسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد ازدحمت في شخصه الفضائل كلها التي لا يستغني عنها عشاق الفضائل الذين يحرصون على بلوغ أعلى درجاتها – ولن يقدروا – ويتطلعون إلى أن يبلغوا منها أرفع منازلها – ولن يصلوا – وكيف يبلغون ذلك وقد عجز أكرم صحابته عن بلوغها، وهم خير أمة أخرجت للناس بشهادة الله !!.

لقد كان ﷺ جامعًا للمكارم كلها والفضائل جميعها، تفيض نفسه رقة وحنانًا، وشفقة وعطفًا، وتواضعًا ولينًا، ورحمة وإحسانًا، وبرًّا وتقوى، وعفوًا وصفحًا، وشجاعة وقوة، وتحملاً، وصبرًا، وثباتًا وعزمًا، ورحم الله الرافعي الذي وصفه بقوله: «كان متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة، طويل السكت لا يتكلم في غير حاجة، ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة وإن دقت، لا يذم منها شيئًا، ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها، فإذا تعدى على الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها .

وكان خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، ولا يحسب جليسه أن أحدًا أكرم عليه

منه، ولا يطوي عن أحد من الناس بشره، وقد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبًا، وصاروا عنده في الحق سواء، يحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويوهيه ... وكان أشد الناس حياء، لا يثبت بصره في وجه أحد، له نور يعلوه، كأن الشمس تجري في وجهه، من سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، أجود الناس بالخير، صلى الله على صاحب هذه الصفات التي لا يجد الكمال الإنساني مذهبًا عنها، ولا عن شيء منها، ولا يجد النقص البشري مساغاً إليها، ولا إلى شيء منها، ففيهما المعنى التام للإنسانية، كما أن فيهما المعنى التام للحق، ومن اجتماع هذين يكون فيها المعنى التام للإيمان [1].

ولم تكن شخصيته ﷺ وقفًا على أمة دون أمة، ولا جيل دون جيل ولا شعب دون شعب، ولا جنس دون جنس، بل هي قدوة كل مسلم، وأسوة كل مؤمن فتح قلبه للنور، ولو إن الإنسانية اليوم حشدت خيرة علمائها وصفوة عقلائها ومربيها، وألوف مصلحيها وقادة الرأي فيها، لتضع لهذه الإنسانية نهجًا تتم به سعادتها، ما بلغت معشار ما بلغه النبي محمد ﷺ؛ لأنه لا ينطق عن الهوى، وقد أرسله المولى جل شأنه للناس كافة بشيرًا ونذيرًا، خاتمًا لرسالاته حتى يوم النشور .

وهو النبي الأمي الذي لم يتعلم في مدرسة، ولم يجلس إلى معلم، ثم كان بفضل ربه صاحب أعظم مدرسة، وأستاذا لكل أستاذ من البشر.

وليس الأمر غريبًا لأن منهجه رباني صادر عن العليم الخبير، عالم الغيب والشهادة، الذي يعلم السر وأخفى، فقد اختار محمدًا عليه الصلاة والسلام ليكون خاتم النبيين، وهيأ له من عنايته ما بلغ به من الدرجات ما لم

(١) من وحي القلم للرافعي .

يبلغه الأنبياء قبله، على جلالة أقدارهم، وعلو منازلهم، وطهارة قلوبهم، وشدة قربهم من الله ﷻ.

ويكفيه في هذا شهادة الله تعالى له حيث خاطبه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

ويكفيه في شرف الأسوة الحسنة قول الله تعالى فيه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

إن مثل القدوة الصالحة في الأمة كمثل الرأس في الجسد، ومثل الروح في البدن، فهل يهتدي جسد بلا رأس وهل يحيا بدنٌ بغير روح؟!!

وقد جاءت آيات القرآن الكريم في شأن القدوة به، ووجوب اتباعه ولزوم طاعته جلية واضحة لا مجال فيها للاختلاف؛ ولا حاجة فيها لتأويل، نورد فيما يلي بعضها:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١،٣٢].

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[النساء: ٨٠].

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

إن التأسي برسول الله عليه الصلاة والسلام، هو الاتباع الصادق للقرآن الكريم، والتجسيد العملي لآياته، فلقد كان ﷺ، الصورة العملية للقرآن، والترجمة الأمينة الدقيقة لآياته، وعندما سئلت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن خلقه قالت :« كان خلقه القرآن»[(١)].

لذلك دعا رسول الله ﷺ أمته لأخذ القدوة عنه في أقواله وأفعاله وعباداته، ورسم لها الصور التطبيقية العملية، لتكون واضحة المعالم لكل من أراد صادقًا أن يتأسى بها، ويدعو الأمة إليها .

فحين أراد ﷺ أن يعلِّم الناس الصلاة، صلَّى مرة على منبر قام عليه فكبَّر وكبَّر الناس وراءه وهو على المنبر، ثم ركع وهو عليه، ثم رفع فنزل القهقرى حتى سجد في أصل المنبر ، ثم عاد حتى فرغ من آخر صلاته، ثم أقبل على الناس فقال : «**يا أيها الناس إني إنما صنعت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي**». [رواه البخاري ومسلم]. وفي البخاري: «**صلُّوا كما رأيتموني أصلِّي**».

وحين عزم على الحج آذن الناس بحجه فجاؤوا من كل فج عميق إلى المدينة المنورة فساروا بسيره واقتدوا به في أفعاله منذ خرج من بيته حتى أتم حجه، وكان يقول لهم: «**خذوا عني مناسككم**» [(٢)].

وفي عمرة الحديبية، وما صنعت قريش حين منعت المسلمين من دخول مكة، وجرى بذلك الصلح، أمر النبي ﷺ الناس أن ينحروا هديهم، ويتحللوا

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

فتباطؤوا فاشتد غضبه لذلك، فأشارت عليه أم سلمة أن يبدأ بالتحلل وذبح هديه، فلما رأى الناس منه ذلك، بادروا إلى النحر والتحلل فنحروا وتحللوا اتباعًا لعمله ﷺ.

وحين توهم بعض الناس ممن كان معه يوم عرفة أن الصوم مشروع لأهل عرفة أرسلت إليه زوجه ميمونة قدحًا من اللبن فشرب والناس ينظرون فكان فعله أوضح جواب وأبلغه[١] .

وفي عام الفتح خرج من المدينة في رمضان صائمًا، والناس بين صائم ومفطر، فلما اقتربوا من عدوهم قال: «**قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم**» فأفطر قوم، وبقي آخرون صيامًا، وفي يوم آخر رأى بعد العصر أناسًا أجهدهم الصوم فأخذ قدحًا وشرب، وأمرهم بالفطر فأفطروا [٢].

وقد نهج الصحابة رضوان الله عليهم نهجه في التبليغ عنه وتعليم أفعاله .

قال عثمان ﷺ يومًا لأصحابه :« ألا أريكم وضوء رسول الله ﷺ؟ ثم توضأ ثلاثًا ثلاثًا، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحو وضوئي هذا ثم قال: من توضأ نحو وضوئي هذا ثم قام فركع ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه» [٣].

هكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ ، كلما بلغوا حكمًا أو رووا حديثًا ، لا يدعون صغيرة ولا كبيرة من أفعاله أو أقواله إلا فعلوها مثل فعله، وبلغوها على نحو تبليغه، امتثالاً لأمر ربهم، وابتغاء مرضاته، مستلهمين ذلك من قول الحق

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه أحمد بن حنبل عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٣) رواه أحمد بن حنبل .

تبارك وتعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ . . .﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقول النبي ﷺ: «**نضَّر الله عبدًا سمع مقالتي فوعاها، ثم أداها إلى من لم يسمعها، فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هوأفقه منها**» [(١)].

ومن هذا المنطلق عقدت العزم مستعينا بالله ﷻ على إخراج هذا العمل المتواضع عن الصيام، بعد أن ألقيت محاضرة موجزة في شهر رمضان المبارك لعام ١٤٠٨هـ في مكة المكرمة على نخبة كريمة من رواد الثقافة الإسلامية في نادي الوحدة، وقد آثرت أن أعرض هذا البحث بشيء من التوسع من خلال الأسوة الحسنة في صيامه وقيامه وتعليمه لأحكام الصيام ليكون الحديث شائقاً دفاقًا، وواضحا بعيدًا قدر المستطاع عن الخلافات الفقهية والعبارات الجافة التي تصعب على أكثر القراء غير المتعمقين في الثقافة الإسلامية.

والله أسأل أن يسدد على طريق الهدى خطواتنا، وأن يهدينا إلى سواء السبيل، وأن يعلمنا ﷻ كل ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علَّمنا ويزيدنا علمًا وهو السميع العليم.

محمد عبده يماني

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والدارمي وابن حنبل.

الصلة بين رسول الله ﷺ وشهر رمضان المبارك

استعداد النبي ﷺ لرمضان من قبل نزول الوحي:

لم يكن صوم رمضان بدعًا من الفرائض التي اختصت بها هذه الأمة، فقد كان صومه فريضة على الأمم السابقة، وكان تقدير الله ﷻ أن يكون شهر رمضان هو شهر الصوم لهذه الأمة أيضًا، ولذلك هيأ رسوله بالاستعداد لتلقي الوحي في شهر رمضان، فكان يتزود ببعض الزاد، ثم يخرج إلى غار حراء يلتمس الخلوة ويقضي الأيام والليالي متفكرًا في خلق السموات والأرض، وفي دورة الفلك، وفي تتابع الليل والنهار، وفيما ذرأ الله على هذه الأرض من خلائق لا عد لها ولا حصر، فإذا نفد الزاد عاد إلى أهله ليتزود بزاد آخر، ويعود إلى حراء بعيدًا عن الناس وصخب الحياة، وما زال كذلك حتى صفت نفسه، واطمأن قلبه وازدادت رقة وشفافية سريرته، ورسخ يقينه بأن وراء هذا التدبير مدبرًا قادرًا حكيمًا عليمًا ، لا يمت إلى هذه الأصنام التي يعبدها الناس من حوله بصلة إلا أنها من خلقه تشهد له مع كل ذرة من ذرات هذا الوجود بالوحدانية، وتسبح بحمده وتقدس له: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤] .

وظل رسول الله ﷺ على ذلك أشهرًا، يزداد قُربًا من الله الذي أحاطه بعلمه وأدَّبه وعلَّمه، وأعدَّه لحمل رسالته الأخيرة إلى الناس جميعًا حتى آخر الزمان: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ... ﴾[الحج: ٧٥].

نزول القرآن الكريم في رمضان:

فلما تحققت لرسول الله ﷺ هذه الحال من الشفافية، والصفاء والقرب من الله ﷻ جاءه الوحي، وخاطبه جبريل بأول ما نزل من القرآن الكريم : ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ [العلق: ١]، وكان ذلك في شهر رمضان المبارك يقول ربنا جل وعلا: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ويقول في ليلة القدر : ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١]، وبذلك ندرك عمق صلة رسول الله ﷺ بشهر رمضان ، واستعداده له قبل أن يبعثه الله برسالته ويتلو آياته، وإذا كان هذا قد جاء اتفاقًا في حياته إلا أنه كان بتقدير من الله العزيز العليم الذي خصه بعنايته وصنعه على عينه لحمل خاتمة رسالاته.

ذلك أن انقطاع الإنسان للتفكر والتدبر، مع التقليل من الطعام والشراب خير عون له على تحقيق ما خلقه الله من أجله، من سمو روحه وحسن عبادته لربه ﷻ، وخير معين له على أداء ما عليه من واجبات الدعوة إلى الله، وحمل هدايته إلى عباده، وتحمل ما يتعرض له في سبيل ذلك من أصناف الضغوط وألوان الأذى.

وقد اقتضت حكمة الله أن يكون لرسوله ﷺ ، قبل بعثته هذه الخلوة التي كانت إرهاصًا لتلقي الوحي الإلهي بواسطة الروح الأمين عليه السلام ، وقد استمرت ستة أشهر من حياته المباركة قبل أن ينزل عليه شيء من القرآن الكريم، إلى أن جاءه الروح الأمين، بأول ما أنزل عليه من القرآن الكريم :﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ...﴾ [العلق : ١، ٢].

وكان ذلك اللقاء نقطة تحول في حياته خاصة، وفي حياة الإنسانية عامة، وفي السلسلة المباركة لتتابع نزول الوحي عليه، إلى أن نزلت آخر آية من

القرآن الكريم : ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١] .

استعداد النبي ﷺ لرمضان بعد فرض صيامه وجلاء فضله :

كان لرمضان في نفس النبي ﷺ مكانة خاصة بين سائر شهور السنة، فقد رأينا كيف صادف انقطاعه في غار حراء قرابة ستة أشهر قبل أن ينزل عليه الوحي في رمضان.

أما بعد أن فرض الله على أمته ﷺ صيامه فقد كان يستعد للقائه، ويدعو الناس للاستعداد له فيقول إذا شهد شهر رجب: «**اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان**»[(١)] .

فإذا دخل شعبان أكثر من الصيام، لقول السيدة عائشة ﵂ حين سئلت عن صوم رسول الله ﷺ : «لم أره صائمًا من شهر قط أكثر من صيامه من شعبان كان يصوم شعبان كله»، وفي رواية: «كان يصوم شعبان إلا قليلًا» [(٢)].

فإذا أطل رمضان، قام يخطب الناس داعيًا، إلى حسن استقباله، بزيادة الطاعات، ومضاعفة الصالحات، والإكثار من الأذكار والدعوات وسائر القربات، عن سلمان الفارسي ﵁ قال : خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان، قال: «**يا أيها الناس، قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيامه تطوعًا، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه، من فطّر صائمًا كان**

(١) رواه البزار والطبراني في الأوسط وفيه زائدة بن أبي الرقاء وقد وثق .

(٢) رواه مسلم .

مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء»، قالوا: يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم، فقال رسول الله ﷺ: «**يعطي الله هذا الثواب من فطّر صائمًا على تمرة، أو على شربة أو مذقة من لبن، وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار، واستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غناء بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم، فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار، ومن سقى صائمًا سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة**»[1].

وفي هذا الحديث العظيم دلالة كبيرة على ما لشهر رمضان من المزايا الكثيرة التي اختصه الله ﷻ بها، والتي لا نظير لها في غيره من الشهور، وهي مزايا كفيلة بشحذ الهمم، ومضاعفة الاجتهاد في الطاعات، والمسابقة إلى الخيرات بأنواعها الكثيرة، وكأن رمضان قد غدا موسمًا للتجارة الرابحة يتنافس فيه المتنافسون في الآخرة، فتنهال عليهم الأرباح من كل مكان وتهون عليهم المباذل والتضحيات، وتكاليف الطاعات من الجوع والعطش، وترك الشهوة، وطول القيام، والعفو عن المسيء، والبعد عن الكذب والفسوق ، ومواساة الفقراء والضعفاء بالعون والمساعدة، وإطعام الطعام، وصلة الأرحام وإكرام الأصدقاء، والتخفيف عن الأجير والخادم والمملوك، وكثرة ذكر الله بالتهليل والتحميد والتسبيح والاستغفار والإلحاح في طلب الجنة والتعوذ من النار، وإعداد الشراب لسقاية الصائمين، وتخفيف ظمئهم وإطعامهم، ولو بتمرة ابتغاء مرضاة الله والحصول على مثل أجرهم من غير

(١) روه ابن خزيمة وصححه، ورواه من طريقه البيهقي.

أن ينقص من أجورهم شيء.

هكذا كان رسول الله ﷺ يستقبل رمضان، ويعظم شأنه ويتحدث عن فضله، وما اختصه الله به من بين سائر الشهور ويدعو الأمة إلى حسن استقباله بالتشمير للطاعات والكف عن المحرمات.

أما هو، فكان ﷺ إذا جاء رمضان سيد الصائمين، وإمام المتقين في عبادته وتنسكه، وصيامه وقيامه، وتلاوته وبذلك ودعوته إلى الله ﷻ، وتعليمه وإرشاده، يدارس جبريل القرآن الكريم، فيزداد جودًا كما وصفته السيدة عائشة رضي الله عنها قالت:« كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان»[1].

وقد كرَّم الحق جل وعلا هذا الشهر المبارك، لما ورد عن النبي ﷺ أنه قال : «**إذا دخل شهر رمضان صفدت الشياطين وفتحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب النار**» [2] ... فيا له من تكريم من المولى ﷻ لهذا الشهر العظيم، ولهذا الرسول الصادق الأمين ﷺ، وتكريم للصائمين من أمته حتى يوم اللقاء .

كما جاء في فضل الصيام قوله تعالى :﴿ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [التوبة : ١١٢]، قال البغوي: والسائحون هم الصائمون، وقيل في قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥] ؛ أي: الصوم... وسمي رمضان شهر الصبر، وأصل الصبر الحبس : ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف: ٢٨]، وفي الصوم حبس النفس عن الطعام والشراب والنساء.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) قال البغوي : هذا حديث متفق على صحته.

مع النبي ﷺ في آداب الصيام :

العبادة في الإسلام عبادة تشريف قبل أن تكون عبادة تكليف، لذلك فإن الله ﷻ لم يكلف كافرًا بعبادة، قال تعالى:﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] .

والعبادات في الإسلام صلة بين العبد وربه، تزكى بها الروح، ويطهر بها القلب، وينشرح بها الصدر، ويزداد بها حب العبد لله وقربه منه فإذا كانت الصلاة دعاءً خاشعًا، ومناجاةً حبيبةً، وقلبًا مطمئنًا بذكر الله :﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، فإن فيها التزكية والفلاح:﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥]، وإذا كانت الزكاة بذلاً خالصًا لله يرد على الفقراء والمساكين وأهل الحاجات، يضاعف به الأجر ويطهر به القلب من آفة البخل :﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] ... وإذا كان الحج سياحة خالصة لله فإن للنفس فيها حظًا من حظوظ الدنيا، يخرج فيها المسلم من أهله وعشيرته وزينته ومصالحه، تعلّم التواضع والمساواة وصدق التوكل على الله، وتذكر بيوم الحشر :﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الشعراء ،٨٨، ٨٩] ، فلا حرص إلا على التقوى والعمل الصالح: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، فإن الصوم إمساك عن شهوتي البطن والفرج، وصبر على الجوع والعطش

امتثالاً لأمر الله وتحقيقًا لحكمة الخالق: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ، وهو عبادة تورث صاحبها تقوى الله لتصل إلى أعماق النفس تطهيراً وتزكية.

وقد كان النبي ﷺ المثل الأعلى والقدوة الحسنة في كل عبادة، أثنى عليه ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وتحدث هو بنعمة ربه عليه فقال عليه الصلاة والسلام: «**أدبني ربي فأحسن تأديبي**» [(١)]، وبين الحكمة من بعثته فقال :« **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» [(٢)].

ودعا أمته إلى جعل الصوم معراجًا ترتقي به النفس إلى أسمى الدرجات، وترتفع فيه عن كل الدنيات وقد جعل الله أجر الصيام عطاء مباشرًا من الله ﷻ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «**قال الله ﷻ كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤٌ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه**».

[رواه مسلم].

والجزء الأول من هذا الحديث حديث قدسي أما ما بقي منه فحديث نبوي يبين فيه ﷺ فضل الصيام بأنه جنة؛ أي: سترة ووقاية من الرفث والآثام كما أنه وقاية من النار يوم القيامة. وقد قال النووي في معنى« **إلا الصيام فإنه لي** » لأن

(١) ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث، والحديث ضعيف ولكنه صحيح المعنى.

(٢) رواه في الموطأ ومسند ابن حنبل .

الصوم بعيد عن الرياء لخفائه، وقيل: إنه ليس للصائم ونفسه فيه حظ ... وقيل: إن الله هو المنفرد بعلم مقدار ثوابه أو تضعيف حسناته. وفي الحديث بيان عظيم فضل الصوم والحث عليه .

وفي قوله :« **وأنا أجزي به**» بيان لعظم فضله وكثرة ثوابه لأن الكريم إذا أخبر بأنه يتولى بنفسه الجزاء، اقتضى عظم الأجر وسعة العطاء اهـ.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً**» [(١)] ، وأراد بالخريف السنة.

ثم بين ﷺ في باقي حديث مسلم ما ينبغي أن يكون عليه الصائم من السماحة وسعة الصدر، والعفو عن المسيء وعدم الرد على الساب أو المقاتل، ولزوم الإعراض عن الرفث والفسوق والصياح، وتذكير من يتحرش به ويتعدى عليه بأنه صائم.

والصائم يدعى لدخول الجنة من باب الريان فقد جاء في البخاري وغيره من كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة. قال أبو بكر رضي الله عنه : بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ فقال: «**نعم، وأرجو أن تكون منهم**»[(٢)] .

ومن هذين الحديثين ندرك ما للصيام من الأجر العظيم، وأن للصائمين بابًا في الجنة يقال له الريان، يدخل منه الصائمون إلى الجنة، فإذا دخلوا أغلق

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه البخاري.

دونهم فلم يدخل منه أحد غيرهم، وإن دخلوا من هذا الباب يكون مقروناً إلى الري والارتواء والراحة بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا في حالة الصيام من الجوع والعطش.

وفي تعدد الأبواب الموصلة إلى الجنة دلالة على ما للفرائض من أهمية، وما أعده الله تعالى من زيادة نعيمه وإكرامه لعباده الصالحين، فكلما دخلوا الجنة من باب واستمتعوا بما فيه من بدائع الصنع وجمال المناظر، وروائع الإتقان وأحسوا بطمأنينة الدخول، انفتح أمامهم باب آخر يختلف عن الأبواب الأخرى بما أودعت فيه يد الخالق المبدع الجليل من روائع ومناظر لم ترَ مثلها عين، ولم تسمع بمثلها أذن، ولم يخطر بخيال بشر، فيزداد بذلك سرورهم وحبورهم وأنسهم وغبطتهم، وينتقلون من نعيم إلى نعيم ومن لذة إلى لذة ومن حبور إلى حبور.

نسأل الله تعالى أن نكون من فزع ذلك اليوم، آمنين مطمئنين وأن يجعلنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عن فطوره

أحل الله ﷻ لعباده الطيبات، وحرَّم عليهم الخبائث، ودعاهم إلى التوسط والاعتدال في المأكل والمشرب والملبس والمسكن، وحذرهم من الاغترار بالدنيا والانصراف إليها، والاستغراق في شهواتها، قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقال رسول الله ﷺ: «**كل ما شئت والبس ما شئت ما خطئتك اثنتان سرف أو مخيلة**»[(١)].

ولقد كان رسول الله ﷺ مثلًا أعلى في الانصراف عن الدنيا والزهد بها والتقلل من لذائذها ونعيمها، وأسوة حسنة لكل غني وفقير من أمته ... وكان جوادًا كريمًا.

كان أسوة حسنة للأغنياء بما آتاه الله من الأموال، وساقه إليه من الغنائم والصدقات، ينفقها على أهل الحاجة من الفقراء والمساكين والغارمين والمؤلفة قلوبهم، فيعطي كل ذي حق حقه، عطاء من لا يخشى الفقر، فكان ﷺ كما قال ابن عباس رضي الله عنه: أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، حتى قال ﷺ لأبي ذر يومًا: «**ما يسرني أن عندي مثل أحد ذهبًا تمضي على ثلاثة أيام وعندي منه دينار، إلا شيء أرصده لدين، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا، عن يمينه وعن شماله ومن خلفه**»[(٢)].

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

وكان أسوة حسنة للفقراء أيضًا بما كان يرتضيه لنفسه وأهله من النفقة القليلة والرزق اليسير؛ لأنه كان على يقين من قول ربه :﴿إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].

عن عائشة ﵂ قالت: «ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض»[(١)].

وقالت لابن أختها عروة بن الزبير يومًا : « والله يا ابن أختي إن كنا ننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار ... قلت: يا خالة فما كان يعيشكم، قالت : الأسودان التمر والماء . . . »[(٢)] .

وعن النعمان بن بشير ﵁ قال: «لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه»[(٣)] ، والدقل: رديء التمر.

ولو ذهبنا نتقصى ما روي في هذا الباب لطال حديثنا جدًّا، ولكن نخلص إلى الحديث عن فطوره وسحوره في رمضان، فقد مر بنا أن أنس بن مالك ﵁ قال :« كان رسول الله ﷺ يفطر قبل أن يصلي على رطبات، فإن لم تكن رطبات فتمرات، فإن لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء»[(٤)].

وعن أنس أيضًا : أن النبي ﷺ كان يحب أن يفطر على ثلاث تمرات أو شيء لم تُصِبه النار».

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

(٤) رواه النسائي.

وعنه أيضًا أن النبي ﷺ :« كان يفطر على لبن وعلى تمرالعجوة».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ: «**قرِّبي إلينا الغداءالمبارك**» ؛ يعني: السحور، وربما لم يكن إلا تمرتين.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «**نعم سحور المؤمن التمر** »[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ: «**السحور أكله بركة فلا تدعوه، ولو أن يتجرع أحدكم، جرعة ماء، فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين** »[2].

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه أحمد.

ثبوت رؤية رمضان وشوال عند رسول الله ﷺ

كان رسول الله ﷺ لا يدخل في صوم رمضان إلا برؤية محققة أو بشهادة شاهد واحد، فإن لم تكن رؤية ولا شهادة أكمل عدة شعبان ثلاثين.

ولم يكن ﷺ يشترط أن يراه بنفسه، بل كان يقبل برؤية أي رجل من المسلمين سواء كان حاضرًا أو باديًا .

إن الدخول في رمضان يعني البدء بعبادة هي ركن من أركان الإسلام الخمسة، ولا ينبغي بناء هذه الفريضة على الشك بل على اليقين الذي لا ريب فيه، لذلك لم يكن عليه الصلاة والسلام يصوم أو يأمر بصوم إلا برؤية أو إكمال عدة شعبان ثلاثين، وفي إكمال شعبان يقين بابتداء رمضان لأن الشهر يكون تسعة وعشرين ويكون ثلاثين، فإذا أكمل شعبان تأكد دخول شهر رمضان، وإن لم يرَ الهلال بسبب غيم أو عجاج فهو موجود لا محالة لأن الشهر لا يكون أكثر من ثلاثين.

والرؤية أو إتمام شعبان شرط من شروط صحة الصيام، قال الله ﷻ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه، فإن غمّ عليكن فاقدروا له ...**» [(١)] . وفي رواية :« **فاكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا**» .

(١) متفق عليه، واللفظ للبخاري.

وعن ابن عباس ﷺ أنه قال :« جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : إني رأيت الهلال، فقال النبي ﷺ:« **أتشهد أن لا إله إلا الله ؟**» قال : نعم. فقال: «**أتشهد أني رسول الله؟**» قال: نعم. قال النبي ﷺ: «**يا بلال أذن في الناس فليصوموا غدًا**» [(١)].

وعن ابن عمر ﷺ قال : «تراءى الناس الهلال، فأخبرت النبي ﷺ أني رأيته، فصام وأمر الناس صيامه» [(٢)].

وهكذا نجده قد قبل بشهادة العدل الواحد في رؤية هلال شهر رمضان خاصة، وذلك لأن هذه الشهادة داعية إلى عبادة فيرغب في المبادرة إليها تحقيقا لحكمة الخالق في قوله تعالى:﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦].

أما في رؤية هلال شوال الذي يخرج الناس به من الصوم فلم يكن يقبل إلا شهادة عدلين، وإلا أكمل رمضان ثلاثين يومًا . قال ﷺ : «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا**» [(٣)].

قد يسأل سائل لماذا يبدأ الصوم بشهادة واحد، ولا يخرج منه إلا بشهادة اثنين؟

والجواب على ذلك أن شهادة الواحد لإثبات شهر رمضان يكفي لأن الشهر يكون تسعًا وعشرين ويكون ثلاثين، وفي قبول شهادة الواحد يكون مبادرة ومسارعة إلى الدخول في الطاعة، وأما الخروج من الصيام إلى الفطر

---

(١) رواه الخمسة وصححه ابن حبان وابن خزيمة والحاكم.

(٢) رواه أبو داود والدارقطني وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي .

(٣) رواه البخاري وهو عند القابسي وعند أبي ذر، غبي بفتح الغين وتخفيف الياء وفي الفرع أعمى للكشميهني، وغم.

فإنه خروج من الطاعة، وهذا يقتضي التثبت والتشدد في قبول الخبر خشية الوقوع في النقص حال تمام الشهر.

وقد بيّن ﷺ أن الشهر يكون تسعًا وعشرين كما يكون ثلاثين، ففي الصحيحين عن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا ،وهكذا، وهكذا**»، وعقد بالإبهام في الثالثة،«**والشهر هكذا ،وهكذا ،وهكذا**»، يعني: تمام الثلاثين[1].

وإذا جاء الشهر تسعًا وعشرين، فهو ليس بناقص في الفضيلة والثواب، لأن ابتداء الشهر وانتهاءه إنما يكون بتقدير من الله ﷻ، لا دخل فيه لأحد، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، وهذه المنازل تكون تسعًا وعشرين ويكون الشهر تامًا وتكون ثلاثين ويكون الشهر تامًا أيضًا، فإذا رؤي هلال رمضان ثم هلال شوال ولم يكن بينهما إلا تسع وعشرون فقد اكتمل الشهر من حيث العدد ومن حيث الأجر أيضًا، وذلك لما ورد في الصحيحين عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال : «**شهران لا ينقصان شهرا عيد، رمضان وذو الحجة** »[2] ؛ أي: لا ينقص فيهما الأجر وإن جاءا تسعًا وعشرين، لأن الشهر يكتمل بهذا العدد مثلما يكتمل لو جاءا ثلاثين وذلك لأن الله هو الذي يثيب على هذه الأعمال وهو خالق الأكوان.

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

تعجيل فطره ﷺ وتعجيله للصلاة

كان رسول الله ﷺ لا يفطر حتى يعلم يقينًا بغروب الشمس فإذا علم ذلك بادر إلى الفطر.

وذلك لقوله ﷺ: «**إذا أقبل الليل وأدبر النهار وغابت الشمس فقد أفطر الصائم**»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ: «**لا يزال الدين ظاهرًا ما عجل الناس الفطر ... إن اليهود والنصارى يؤخرون**»[٢].

ولم يكن رسول الله ﷺ يتأخر عن الفطر أو يتباطأ عنه بعد أن يتحقق من غروب الشمس الذي به يبدأ الليل، فعن عبد الله بن أبي أو في رضي الله عنه قال: «كنا مع النبي ﷺ في سفر حتى أمسى... قال لرجل: «**انزل فاجدح**[٣] **لي**» قال: يا رسول الله لو انتظرت حتى تمسي؟ قال:« **انزل فاجدح لي**... قال : **إذا رأيت الليل أقبل من ها هنا فقد أفطر الصائم**»[٤].

وفي رواية: «**إذا أقبل الليل من ها هنا وأدبر النهار من ها هنا وغربت**

(١) رواه مسلم والترمذي وأحمد بن حنبل.

(٢) أخرجه البخاري وأحمد بن حنبل .

(٣) أجدح: أخلط السويق بالماء.

(٤) رواه البخاري في كتاب الصوم ص٣٣.

الشمس فقد أفطر الصائم» [١]. ومعنى: **(فقد أفطر الصائم)** أصبح في حكم المفطر وإن لم يأكل. وهذا تعليم للأمة أن تسرع إلى الفطر بعد التحقق من اكتمال الغروب، ولا فضيلة في تأخير الإفطار بل هو مخالف لهديه ﷺ.

وفي الحديث القدسي:« **إن أحب عبادي إليَّ أعجلهم فطرًا»** [٢]، لذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يعجلون الفطر ويؤخرون السحور، وقد مر بنا ما سألت عنه السيدة عائشة في رجلين أحدهما يعجل الإفطار ويعجل الصلاة والآخر يؤخر الإفطار ويؤخر الصلاة، فسألت أيهما الذي يعجل الإفطار ويعجل الصلاة. قيل : هو عبد الله بن مسعود قالت: كذلك كان رسول الله ﷺ يصنع .[٣]

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور»**.[٤]

وبذلك نرى أن التعجيل في الفطر موافق لهديه ﷺ وموجب لمحبة الله ﷻ لعباده، وهو الذي تعبدنا بالصوم، وقد دعانا إلى التعجيل في الفطر في أول وقته بعد أن أتم الصائمون صيامهم، وأدوا لله ما أوجب عليهم، وأخطأ من اعتقد أن من الأحوط والأحسن تأخير الإفطار حتى تظهر النجوم في السماء كما يفعل أهل الكتاب، ومن ظن أن تقديم الصلاة على الإفطار أفضل، خالف هدي النبي ﷺ في ذلك ورغب عن سُنَّته.

---

(١) رواه الشيخان .

(٢) رواه أحمد والترمذي .

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أحمد وأورده الهيثمي .

وفي تعجيل الفطر وتقديمه على الصلاة تقصير لأمد الجوع، ودليل على رحمة الله تعالى، بعباده وعظيم إكرامه لهم، فالذي تعبدهم بالصيام دعاهم إلى التعجيل في الفطر وقد اجتمعوا على الطعام والشراب وتاقت إليه أنفسهم. وتعجيل الفطر يفضي إلى المبادرة إلى الصلاة وأدائها في أفضل أوقاتها .

وأما الصلاة قبل الإفطار فهو أمر مخالف لهديه ﷺ، يؤدي إلى الانشغال عن الصلاة ويذهب بالخشوع، ولا يقتصر ذلك على الإفطار في رمضان قبل الصلاة بل يشمل كل صلاة يحضر معها طعام فيقدم الطعام على الصلاة اتباعًا لسُنَّته عليه الصلاة والسلام. فعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول :«**لا صلاة بحضرة طعام ولا هو يدافعه الأخبثان**»[1].

وعنها أيضًا أن النبي ﷺ قال :« **إذا وضع العشاء وأقيمت الصلاة فابدأوا بالعشاء**»[2].

قال الخطابي إنما أمر النبي ﷺ أن يبدأ بالطعام لتأخذ النفس حاجتها منه، فيدخل المصلي في صلاته وهو ساكن الجأش لا تنازعه نفسه شهوة الطعام فيعجله ذلك عن إتمام ركوعها وسجودها وإيفاء حقوقها .

وقد كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إذا وضع له الطعام أكل، فإذا سمع الإقامة أتم طعامه ولم يقم إلى الصلاة حتى يستوفي حاجته ثم يصلي.

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم وأحمد

الرسول ﷺ في سحوره وإمساكه

وقد سنّ رسول الله ﷺ أكلة السحور، ووقتها السحر، وهي التي الساعة تسبق طلوع الفجر، وقد سمى رسول الله ﷺ هذه الأكلة الغداء المبارك. عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ: «**قربي إلينا الغداء المبارك**» ؛ يعني : السحور، وربما لم يكن إلا تمرتين.[1]

وكان يحث على السحور ويرغب فيه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «**تسحروا فإن في السحور بركة**»[2].

وروى النسائي بسند صحيح إلى رجل من الصحابة قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يتسحر فقال : «**إنها بركة أعطاكم الله إياها فلا تدعوه**» .

وسر البركة في هذه الأكلة أنها تكون ساعة تنزل الرحمات، ساعة التبتل والاستغفار، إنها أكلة في غير وقت اشتهاء الطعام والتلذذ به، ويبتغي بها الصائم الاستعانة على طاعة الله في فريضة الصيام، وتقوية البدن على أداء ما عليه من واجبات السعي والعمل وطلب المعاش، والمحافظة على قوة المسلمين أفرادًا وجماعات، ويزيد في بركة هذه الأكلة أنها خاصة بهذه الأمة، ورحمة بها من الله عز وجل، فقد صام أهل الكتاب ولم يكن لهم سحور، فعن عمرو

(١) رواه النسائي وغيره.

(٢) متفق عليه .

بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور**»[١].

وكان ﷺ يحب التمر في السحور: فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**نعم سحور المؤمن التمر**»[٢].

وليست العبرة في السحور بكثرة الطعام، بل تحصل الفضيلة والسُّنَّة بالقليل ولو كان تمرتين كما مر من حديث عائشة ﷺ.

وفي حديث جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «من أراد أن يصوم فليتسحر بشيء»[٣].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**السحور أكلة بركة فلا تدعوه ولو أن يتجرع أحدكم جرعة ماء فإن الله ﷻ وملائكته يصلون على المتسحرين**»[٤].

وصلاة الله ﷻ رحمة وسكينة ورضوان تتنزل على قلوب عباده المؤمنين، وصلاة الملائكة دعاء بالرحمة والمغفرة والنجاة من النار ودخول الجنة. فأكرم بها من صلوات من رب رحيم وأعظم بها من دعوات من الملائكة الكرام المقربين.

وقت سحوره ﷺ:

من السُّنَّة تأخير السحور وتعجيل الفطر عن سهل بن سعد أن رسول الله

(١) رواه مسلم وغيره.

(٢) رواه أبو داود بسند صحيح.

(٣) رواه أحمد .

(٤) رواه أحمد .

ﷺ قال: «**لا تزال أمتي بخير ما أخروا السحور وعجلوا الفطر**» [١].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : كنت أتسحر في أهلي ثم تكون سرعتي أن أدرك السجود مع رسول الله ﷺ [٢] .

وعن بلال رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ أؤذنه بالصلاة وهو يريد الصيام فدعا بقدح، فشرب وسقاني، ثم خرج إلى المسجد للصلاة فقام يصلي بعد وضوء يريد الصوم[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قال أبو :أحمد إن بلالاً كان يؤذن بليل فقال رسول الله ﷺ : «**كلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر**»، قال القاسم ولم يكن بينهما إلا أن يرقى ذا وينزل ذا [٤] .

وكان ابن أم مكتوم رجلًا أعمى لا يؤذن حتى يقال: أصبحت أصبحت[٥].

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال :« تسحرنا مع رسول الله ﷺ، ثم قمنا للصلاة. قال أنس: كم بينهما؟ قال: قدر خمسين آية»[٦]. وهذا محمول على ما بين الإمساك وإقامة الصلاة لأن الإمساك يكون مع الفجر أو قبيله بقليل، أما الصلاة فتؤخر قدر ما يقرأ القارئ خمسين آية.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه الإمام أحمد.

(٤) رواه البخاري.

(٥) متفق عليه.

(٦) متفق عليه.

وقد بينت الآية وقت الإمساك بيانًا واضحًا، فقال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ ...﴾ [البقرة: ١٨٧].

كما بينت مدة الإفطار والتمتع المباح فيما ينطبق عليه اسم الليل لأن (حتى ومتى) حرفا غاية للتبيين ولا يحصل التبيين إلا بالوضوح والظهور، ويتحقق هذا وقت طلوع الفجر كما بين رسول الله ﷺ ذلك بيانًا شافيًا، فقال فيما رواه سمرة بن جندب : «**لا يغرنكم أذان بلال ولا هذا البياض لعمود الصبح حتى يستطيل**»[(١)].

وأخرج البخاري عن عدي بن حاتم قال : قلت: يا رسول الله، ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود، أهما الخيطان؟ قال: «**إنك لعريض القفا**[(٢)]**إن أبصرت الخيطين، ثم قال: لا بل سواد الليل وبياض النهار**» .

وفي حديث سهل بن سعد قال : أنزلت ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ ولم ينزل (من الفجر) فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والأسود ولم يزل يأكل حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله بعد ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ﴾ فعلموا أنه إنما يعني: الليل والنهار. [(٣)]

ومن ذلك نعلم أنه من أكل وشرب لأنه لم يتيقن من طلوع الفجر الصادق فصومه صحيح لأن طلوع الفجر هو نهاية الأكل والشرب، والفجر الصادق هو المستطيل الذي عارض الأفق.

---

(١) رواه مسلم .

(٢) كناية عن قلة الفطنة، والأرجح أنه قالها على سبيل المباسطة.

(٣) متفق عليه، وهذا اللفظ للبخاري.

ومما ينبغي التنبيه إليه أن الفجر لا يعرف في الليالي المقمرة، ولا في المدن المضاءة بالكهرباء، وإنما يظهر انتشاره في الليالي المظلمة، والأماكن الخالية من الأنوار، وبذلك يكون الإمساك على أذان الفجر المحدد في مواقيت الصلاة هو الذي يعول عليه في معرفة الفجر والإمساك عن المفطرات؛ لأنه ليس في مقدور كل صائم أن يتبين الفجر في الأفق بنفسه، فإذا كان في بلد غير مذكور في مواقيت الصلاة، أو في بادية بعيدة فلا بد من النظر في الأفق ومراقبة الفجر، فلا يؤذن المؤذن، ولا يمسك من يسمع الأذان حتى يظهر الفجر الصادق.

وينبغي عدم التشدد في موضوع الإمساك قبل الفجر بوقت طويل، وإيهام الناس أنه لا يصح أن يتناول الإنسان أي طعام بعد مدفع السحور، أو بعد الأذان الأول؛ لأن العبرة بطلوع الفجر الصادق حسب الوقت الذي حدد له، وقد يتوهم بعض الناس أن الأكل والشرب يحرم بسماع أذان الإمساك أو مدفع الإمساك فيمسك أكثر الناس معتقدين أن الأكل والشرب بعدهما يبطل الصيام، مع أن في الوقت فسحة تكفي لتناول وجبة سحور خفيفة، وزيادة وكثيرًا ما يستيقظ بعض الصائمين في هذا الوقت فيمتنعون عن السحور، مع أن هذا الوقت من أفضل أوقات السحور، وفي هذا تعطيل للسُّنَّة التي تدعو إلى تأخير السحور، وتحريم لما أحل الله، والتحريم لا يكون إلا من الله ﷻ كما أن فيه مخالفة صريحة لنص الآية الكريمة: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ومخالفة للتفسير الذي بينه رسول الله ﷺ لهذه الآية في الأحاديث الكثيرة التي أوردنا بعضها فيما سبق .

وفي هذا المعنى جاء في المصنف عن عبد الرزاق عن حكيم بن جابر قال: جاء بلال إلى النبي ﷺ وهو يتسحر فقال: الصلاة يا رسول الله، قال: فثبت كما هو يأكل ثم أتاه فقال: الصلاة. وهو في حاله ثم أتاه الثالثة، فقال

الصلاة يا رسول الله قد والله أصبحت، فقال النبي ﷺ: «**يرحم الله بلالًا لولا بلال لرجونا أن يرخص لنا حتى تطلع الشمس**».

أما أن يفرغ الصائم من سحوره قبل عشر دقائق أو أكثر أو أقل فلا مانع من ذلك ما دام يعتقد بحل المفطرات حتى يطلع الفجر، وكذلك لو أمسك قبل الفجر بوقت قليل – دقيقة أو دقيقتين – احتياطاً عن الدخول في المحظور فلا مانع، بل ربما كان أفضل واتقى لله في فهم قوله تعالى :﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧] ، والله تعالى أعلم.

في تبييته للنية قبل الفجر :

علمنا رسول الله ﷺ أن لكل عبادة نية، وأنه لا يصح عمل من الأعمال التعبدية بغير نية، للحديث الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :«**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[(١)].

وقد أوجب النبي ﷺ النية للصيام، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**من لم يُجمِع[(٢)] الصيام قبل الفجر فلا صيام له**»[(٣)].

وعن أم سلمة:« لا صيام لمن لم يفرضه من الليل» [(٤)]. وفي رواية :«**من لم يبيته بليل**».

---

(١) متفق عليه .

(٢) ينوي ويعزم .

(٣) رواه أبو داود.

(٤) رواه ابن ماجه.

وقد اتفق الأئمة والعلماء على وجوب تبييت النية في الصيام لهذه الأحاديث، وأجاز أبو حنيفة بعد الفجر، واحتج بحديث الربيع بنت معوذ قالت : أرسل رسول الله ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار التي حول المدينة: «**من كان أصبح صائمًا فليتم صومه، ومن كان أصبح مفطرًا فليتم بقية يومه**»[1] ، واشترط الإمام أبو حنيفة لصحة نية النهار أن لا يكون قد أكل أو شرب قبلها وخالفه الجمهور.

وقال الجمهور لا بد من النية لكل يوم، لأن كل يوم عبادة مستقلة، وقالت المالكية تكفي نية واحدة لكل رمضان، ولكل صوم متتابع، ويبدأ وقت النية من بعد الغروب إلى طلوع الفجر، ولا يضر الأكل بعدها، ولا يجب التلفظ بها لأن موضع النية القلب، وعلى ذلك فإن من أكل وشرب

بنية السحور والإمساك كان أكله وشربه نية، ومن استيقظ قبل الفجر بنية السحور فاستيقاظه نية، ومن نام عازماً على القيام للسحور فعزمه نية، ومن استعان بالمنبه وحدد وقت يقظته وقت السحور فقوله نية صحيحة، وينعقد الصوم بأية واحدة مما ذكر إن شاء الله .

وربما حاك في الخاطر سؤال : ما حكم من استيقظ بعد الفجر فعلم أن اليوم رمضان فنوى الصيام؟ أو كان خارج البلد فدخل فوجد الناس صيامًا بشهود الشهر فنوى الصيام؟ .

لا شك أن صيامه صحيح إن شاء الله، ولو لم يبيت النية استنادًا إلى حديث الربيع بنت معوذ الآنف الذكر، ولأن المسلم ملتزم بصيام رمضان، ومترقب دخول الشهر، وناوٍ صيامه قبل حلوله فيكفيه هذا من نيته، كما أن استيقاظه بعد

---

(١) رواه مسلم.

الفجر كان بغير قصده، وقد كان في وقت النية قبل الفجر نائما، والنائم مرفوع عنه التكليف بقول النبي ﷺ : «**رفع القلم عن ثلاثة : النائم حتى يستيقظ، وعن المبتلي حتى يبرأ، وعن الصبي حتى يكبر**» [1]. فيكون غير مكلف بالنية في وقتها، كما أن من نام عن صلاة أو نسيها فوقتها حين يذكرها،وبذلك تكون نيته صحيحة إن شاء الله .

وكذلك من دخل بلدًا بعد الفجر فعلم بدخول الشهر، فإنه يمسك، وصيامه صحيح؛ لأنه لم يحصل له علم قبل الفجر، ولو علم لنوى، فنيته صحيحة، وصيامه صحيح إن شاء الله ولا قضاء عليه.

ويقوي هذا أن النية في النهار صحيحة في صيام النافلة، لحديث عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ دخل ذات يوم فقال: «**هل عندكم شيء؟** قلنا : لا. قال: **فإني إذًا صائم**»[2].

أما من علم بدخول الشهر بعد الفجر وبعد الأكل والشرب فصيامه غير صحيح ويجب عليه الإمساك بقية النهار حرمة للشهر ، ثم يقضي ذلك اليوم .

(١) رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

(٢) رواه الجماعة إلا البخاري.

الرسول ﷺ مع أهله في رمضان

كان رسول الله ﷺ المثل الأعلى للمسلمين في كل فضيلة، والأسوة الحسنة لأمته في كل خلق كريم، وقد جعل رسول الله ﷺ حسن تعامل الرجل مع أهله مقياس خيريته، وآية نبله وكريم خلقه فقال: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»[١].

وقال: «**إن من أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله**» [٢].

ولم يغير رمضان من حسن عشرته ولطف معاملته ودماثة[٣] خلقه مع أزواجه رضوان الله عليهن، وهو في تعامله مع أهله في رمضان مشرع لأمته يبين ما يحل وما يحرم، وما يباح وما يحظر، وما يستحب وما يكره، ومما أحله الله ﷻ للصائم تقبيل زوجته، وقد كان النبي ﷺ يفعل ذلك تشريعا لأمته في أمر الصوم ولم يكن يفعله استجابة لشهوة، عن عائشة أم المؤمنين ﵂ قالت:« إن كان رسول الله ﷺ ليقبل بعض أزواجه وهو صائم. ثم ضحكت» [٤].

وهي إذ تعلن ذلك لا تقوله تشجيعًا على التقبيل ودعوة إليه، إنما تفعل ذلك لبيان حل ذلك لمن ملك إربه، وأمن الوقوع في الحرام، فمن المعلوم من

(١) رواه الترمذي وابن ماجه والدارمي .

(٢) رواه الترمذي.

(٣) اللين والسهولة .

(٤) متفق عليه .

الدين بالضرورة أن الصيام إمساك عن شهوتي البطن والفرج منذ الفجر حتى غروب الشمس. وقد ورد في الحديث القدسي المروي عن أبي هريرة ﷺ : «**يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به ...**»[١].

فتقبيل الرجل امرأته في نهار رمضان مباح لمن ملك إربه، أما إذا كانت القبلة داعية إلى الوقوع في المحظور من حصول الشهوة وخروج المني فهي مفسدة للصوم، ويأثم فاعلها، فإن أدت إلى الجماع فقد فسد الصوم ووجبت الكفارة المغلظة، وهي عتق رقبة، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا.

وقد بينت السيدة عائشة ﷺ في حديث آخر خطر القبلة فقالت :« كان رسول الله ﷺ يقبل وهو صائم، ويباشر وهو صائم، وكان أملككم لإربه» [٢].

والمباشرة المذكورة في الحديث هي المداعبة. وحكمها حكم القبلة سواء. وفي حديث آخر عن عائشة ﷺ أيضًا قالت : أراد النبي ﷺ أن يقبلني فقلت : إني صائمة، فقال:« **وأنا صائم**» ثم قبلني. وعنها : ثم يقبل أين شاء من وجهي[٣].

إن تقبيل النبي ﷺ نساءه وهو صائم تقبيل تشريع للأمة لبيان حكمه، وأنه لا يفطر إلا إذا أدى إلى ما يفسد به الصوم، فعن جابر بن عبد الله قال : قال عمر بن الخطاب: هششت فقبلت وأنا صائم فقلت: يا رسول الله صنعت اليوم أمرًا عظيمًا، قبلت وأنا صائم، قال:« أرأيت لو مضمضت من الماء وأنت صائم»[٤] .

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه الإمام أحمد بن حنبل .

(٤) رواه أبو داود.

وبذلك نرى أن القبلة للصائم كالمضمضة سواء، وكما أن المضمضة مقدمة للشرب ولا يفطر بها الصائم إلا إذا سبق الماء إلى الجوف، فكذلك القبلة مقدمة الجماع، ولا يفطر بها الصائم إلا إذا أدى ذلك إلى خروج المني أو الجماع.

روى مسلم عن عمر بن أبي سلمة أنه سأل النبي ﷺ: أيقبل الصائم؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**سل هذه**» - لأم سلمة وهي إحدى أزواج النبيﷺ، وأم السائل - فأخبرته أن رسول الله ﷺ يصنع ذلك، فقال: يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. فقال له رسول الله ﷺ: «**أما والله إني أتقاكم لله وأخشاكم له**».

ومعنى ذلك: أن الرسول ﷺ لا يفعل ذلك لأنه مغفور الذنب، فهو أتقى الأمة وأخشاها لله، وليس التقبيل حكمًا خاصًا به بل مشروع لأمته، ولا يفسد به الصوم، ولكنه يفعل ذلك لأنه مشرع ومبلغ عن الله ﷻ، يبين لهم ما أنزل إليهم ويفقههم في دينهم ويعلمهم الحرام والحلال.

وبذلك نعلم أن من استطاع أن يملك إربه وهو صائم فليس عليه حرج إن قبل أو داعب، ومن لم يستطع فليس له ذلك ما دام صائمًا. وقد ورد التفريق بين الشاب والشيخ من حديث أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم أن رجلا سأل النبي ﷺ عن المباشرة للصائم فرخص له، وأتاه آخر فنهاه عنها فإذا الذي رخص له شيخ، وإذا الذي نهاه شاب [1].

وكيف لا تكون القبلة محظورة على من يؤدي به ذلك إلى الجماع الموجب للكفارة، والإنزال المفسد للصوم بإجماع العلماء، والقاعدة الشرعية

(١) رواه أبو داود وغيره.

تقول : كل ما أدى إلى حرام فهو حرام وإن كان في الأصل حلالاً .

ولذلك كان السلف يحذرون منها كما في قصة عبد الله بن ثعلبة قال: «كانوا ينهونني عن القبلة تخوفًا أن أتقرب لأكثر منها».

أما في الليل فيحل للصائم من زوجه مثل ما يحل له من طعامه وشرابه. قال الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ...﴾ [البقرة: ١٨٧].

وقد كان النبي ﷺ في ليالي رمضان مع أزواجه كسائر الليالي، أداء لحقوقهن واستمتاعاً بما أحل الله له منهن.

عن عائشة وأم سلمة ﵄: «أنه كان يصبح جنبًا من جماع غير احتلام ثم يصوم رمضان» [(١)].

فمن أصبح جنبًا في رمضان وجب عليه الغسل، ولا تضره الجنابة مع طلوع الفجر وبداية الصوم، وكذلك من احتلم وهو صائم وجب عليه الغسل، وصيامه صحيح. أما من صام يومه وهو جنب ولم يصلِّ فأقل ما يقال فيه : إنه مرتكب كبيرة وهي ترك الصلاة، هذا إذا كان تركها تهاونًا وكسلاً، أما إذا كان قد تركها إنكارًا لفريضتها فهو كافر، حلال الدم، لايرث ولا يورث، وتحرم زوجته عليه لكفره، ولا يغسل ولا يدفن في مقابر المسلمين.

(١) متفق عليه .

مع النبي ﷺ في اعتكافه

الاعتكاف هو لزوم المسجد لعبادة الله ﷻ. قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

وقد كان رسول الله ﷺ أول من اعتكف في رمضان، التماسًا لليلة القدر، ودعا أمته إلى الاعتكاف، فاعتكف في العشر الأول من رمضان، ثم اعتكف في العشر الثانية، ولما علم أن ليلة القدر تقع في العشر الأواخر جعل اعتكافه فيها، واعتكف معه الناس ...

كان اعتكافه في قبة تنصب له في المسجد قرب بيته، يدخلها إذا صلى فجر اليوم الأول من العشر الأواخر، ولما رأت منه زوجاته ذلك، اتخذت كل واحدة منهن لنفسها خباء تعتكف فيه، ولما رأى ذلك خشي أن يكون عملهن من قبيل التنافس والغيرة، مما يتنافى مع كمال التوحيد والإخلاص لله في العبادة، فقال ﷺ: «**آلبر يردن**». ثم أمر بقبته فقوضت، وترك الاعتكاف ثم قضاه في العشر الأواخر من شوال.

كانت العشر الأواخر من رمضان أيامًا متميزة في حياته، ينقطع فيها تمام الانقطاع للعبادة من الصلاة والتلاوة والذكر والاستغفار تهيئاً واستعدادًا لليلة القدر، فلا يأوي إلى أهله ولا يطأ لزوجة فراشاً.

عن عائشة ﵂ قالت : كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر» [(١)].

ولم يكن يخرج من معتكفه إلا إلى بيته لقضاء حاجته وتجديد وضوئه، وكان إذا دخل بيته لذلك لا يقرب أهله بشيء في ليل ولا نهار لأنه لا يحل للمعتكف من أهله شيء. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ ...﴾ [البقرة: ١٨٧].

أما طعامه وشرابه فكان يأتيه إلى معتكفه في المسجد، ولم يكن يخرج من المسجد مدة اعتكافه عن عائشة ﵂ أنها قالت :« السُّنَّة على المعتكف أن لا يعود مريضًا ولا يشهد جنازة ولا يمس امرأة ولا يباشرها ولا يخرج لحاجة إلا لما لا بد منه، ولا اعتكاف إلا بصوم ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع»[(٢)].

ولكن رسول الله ﷺ لم يكن يقاطع زوجاته أو يعرض عنهن، ولا يدع ملاطفتهن وحسن معاشرته لهن.

عن عائشة﵂ :« أنه كان معتكفا فكانت ترجله وهي حائض وهو معتكف في المسجد وهي في حجرتها يناولها رأسه»[(٣)].

وربما زارته إحداهن وهو في معتكفه في المسجد فيجلس معها تحدثه، ثم تنصرف فيودعها ويسير معها إلى بيتها، كما جاء في حديث صفية ﵂ قالت: «كان النبي ﷺ معتكفًا فأتيته أزوره ليلاً فحدثته ساعة ثم قمت لأنقلب فقال: «**لا تعجلي حتى أنصرف معك**»، فقام معي ليقلبني، وكان مسكنها في دار

(١) متفق عليه .

(٢) رواه أبو داود.

(٣) متفق عليه .

أسامة بن زيد» [1].

وعن أبي داود - زيادة - أنها قالت: حتى إذا كان عند باب المسجد الذي عند باب أم سلمة فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا . فقال النبي ﷺ : «**على رسلكما**». إنها صفية بنت حيي فقالا : سبحان الله يا رسول الله؟ قال: «**إن الشيطان يجري من الإنان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرًّا**» أو قال: «**شيئًا**» وكان إسراعهما حياء من النبي ﷺ حين رأياه مع إحدى زوجاته.

وفي هذا الإيضاح من رسول الله ﷺ تعليم لأمته الخروج من مواقف التهمة والدفاع المشروع عن النفس إذا كان المسلم في موقف يدعو إلى الريبة وسوء الظن، وقد جعل ذلك من علامات الإيمان الصادق ، فقال ﷺ :«**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم**».

أما زيارة صفية فإنها وفاء وحب لله ولرسوله، من صفية بنت حيي بن أخطب أحد زعماء اليهود، وكان رسول الله ﷺ قد اصطفاها من سبايا اليهود في خيبر، فأعتقها وتزوجها فصارت إحدى أمهات المؤمنين.

لقد عز عليها فراق رسول الله ﷺ فاستوحشت لبعده فجاءته تسعى لزيارته والأنس به رضوان الله عليها، ما أبرها وأصدقها .

وبمناسبة الحديث عن اعتكافه ﷺ، لا بد من وقفة يتذكر بها القارئ الكريم هذه السُّنَّة، التي تركت في هذا الزمان في خضم الانهماك في الدنيا والإقبال على الملهيات، وإن الاعتكاف يعني تمام الانقطاع للعبادة والتلاوة والذكر والاستغفار، والتأسي برسول الله ﷺ في اجتهاده في العبادة

(١) أخرجه الشيخان .

وتعليم أمته التماس ليلة القدر، والفوز منها بالمغنم الرابح بعد الاستعداد لها ليكون المعتكف على أتقى ما يكون لله، وأقرب ما يكون من الله ﷻ، لما يكون عليه من البر والتقوى والإحسان: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾ [الذاريات: ١٦ - ١٨].

وهكذا نرى حرص النبي ﷺ على الاجتهاد في عبادة الله في العشر الأواخر من رمضان، عن عائشة قالت:« كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره» [(١)]. وذلك لما في هذه الأيام المباركة من الكرم الإلهي والعطاء الكبير الذي لا يتسع له خيال ولا يحيط به تصور، فأكرم به من فضل، وأعظم به من عطاء.

إيقاظه أهله :

ولم يكتف رسول الله ﷺ بقيام ليالي العشر الأخيرة من رمضان، بل كان يدعو أهله إلى ذلك. روى الطبراني :« كان رسول الله ﷺ يوقظ أهله في العشر الأواخر من رمضان وكل صغير وكبير يطيق الصلاة».

وإيقاظ أهله للصلاة من سُنّته ﷺ في رمضان وغير رمضان، فقد ورد في الصحيحين:« إنه ﷺ كان يطرق باب فاطمة وعلياً ليلاً فيقول لهما :« **ألا تقومان فتصليان**»، وكان يوقظ عائشة بالليل قبل أن يوتر، لتقوم من الليل ولو يسيرًا، فلا تفوتها فضيلة القيام.

وقد ورد عنه ترغيب كل من الزوجين بإيقاظ صاحبه للصلاة ليلاً، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «**رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء. رحم الله امرأة قامت من الليل**

(١) رواه مسلم .

فصلت وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء»[1].

وكان عمر ﷺ يصلي من الليل ما شاء الله ، فإذا انتصف الليل أيقظ أهله للصلاة وهو يتلو : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[طه: ١٣٢] .

وكانت امرأة بعضهم تقول له : قد ذهب وبين أيدينا طريق بعيد وزادنا قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا . . . ونحن قد بقينا .

وهكذا كان رمضان في حياة المسلمين مدرسة تربوا فيها على الاستعلاء على الشهوات مهما عظمت وأغرت، اقتداء بالنبي ﷺ، وتنافسًا في طلب الآخرة، حتى بلغ بهم الأمر عندما مشوا في كتائب الجهاد، وساحوا في جيوش الفتوح أنهم لم يدعوا الصيام والقيام، فهذا هرقل يسأل كبار مستشاريه وعظماء قواده عن سر انتصار المسلمين على الروم وهم الأكثر عددًا وعُددًا أضعافًا كثيرة، فأجابه أحدهم: «نحن ننهزم وهم ينتصرون من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار،ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم، أما نحن فنشرب الخمر ونركب الحرام وننقض العهود ونظلم . . . » .

هكذا كان رمضان إذًا مدرسة تربي الصائمين على القوة والثقة بنصر الله وصدق وعده : ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠] .

(١) رواه أبو داود بإسناده صحيح.

دعاؤه ﷺ في رمضان

كان من هديه ﷺ الدعاء عند الإفطار والترغيب فيه. عن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أفطر قال: «**بسم الله : اللَّهُمَّ إني لك صمت وعلى رزقك أفطرت**» وزاد ابن عباس رضي الله عنهما : فتقبل مني إنك أنت السميع العليم»[(١)] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن أبي الدرداء رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ إذا أفطر قال: « **ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله**»[(٢)] .

وقد رغب النبي ﷺ أمته بالدعاء عند الإفطار وبين أنها ساعة استجابة. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله يقول : «**إن للصائم عند فطره لدعوة لا ترد**»[(٣)]، وروى ابن ماجه أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها الله دون الغمام يوم القيامة، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول: بعزتي لأنصرنك ولو بعد حين**» [(٤)].

والمؤمن قريب من الله دائمًا مستجاب الدعاء في كل آن، روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يزال يستجاب للعبد ما لم**

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه ابن ماجه.

(٤) رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه.

يدع بإثم أو قطيعة رحم . . » [1].

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال :« **يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول: دعوت فلم يستجب لي**» [2].

ومن اللطائف التي يتنبه إليها الناظرون في كتاب الله، المتدبرون آياته، أن الآيات التي تناولت أحكام الصيام في شهر رمضان جاءت في مكان واحد، وأنه كان يتخللها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

إنها لفتة عجيبة تصل إلى أعماق النفس المؤمنة وخفايا السريرة، فتجد العوض الكامل الحبيب، عن مشقة الصوم في القرب من الله وفي استجابته للدعاء:﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، ولم يقل سبحانه: فقل لهم إني قريب، ولم يقل أسمع الدعاء، إنما تولى بذاته العلية الجواب على عباده بمجرد السؤال ووعد بالإجابة: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ .

إنها آية شفيفة تسكب في قلب المؤمن النداوة الحلوة، والود المؤنس، وطمأنينة القرب من الله، وتفتح أبواب عطاء الله بغير حساب، كما تفتح أبواب القلوب المؤمنة لتلقي الأمر الإلهي بالاستجابة لله، والإيمان به وبصدق وعده في استحياء منه ومسارعة إليه ابتغاء رضوانه والاستقامة على صراطه : ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ .

ومن ذلك ندرك أن المؤمن قريب من الله وأن الله ﷻ قريب من عباده،

---

(١) رواه مسلم .

(٢) متفق عليه .

يسمع دعاءهم، ويجيب سؤالهم، ويعلم سرهم ونجواهم، فإذا كان رمضان كان الله أشد قربًا، وأكثر استجابة ورحمة، فإذا كانت ساعة الإفطار كانت الإجابة والدعوة التي لا ترد بفضل الله .

وعن عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يومًا وقد حضر رمضان: «**أتاكم رمضان شهر بركة، يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيرًا، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله** »[١].

وبذلك نرى أن رمضان شهر استجابة الدعاء للصائمين الذين استجابوا لله بأداء ما افترض عليهم من العبادات العظيمة، وتقربوا إليه بمزيد الإنابة، والرجاء والضراعة في طلب المحبوبات فهو قريب منهم، يحبهم ويحبونه ويخلصون العبادة له، ويلحون في سؤاله ودعائه، وفي الحديث:« **إن الدعاء هو العبادة**» [٢]، وهكذا يعلمنا رسول الله ﷺ: «**إن الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السماوات والأرض، وإن الله يحب الملحين في الدعاء**»، وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال :« **من لم يسأل الله سبحانه يغضب عليه**» [٣].

وعن عائشة ﷺ قالت:قال رسول الله ﷺ: «**لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع بما نزل وما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة**»[٤]. وعن ثوبان عن النبي ﷺ قال: «**لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد**

(١) رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد بن حنبل.

(٣) رواه ابن ماجه.

(٤) رواه الحاكم.

في العمر إلا البر، وأن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»[1].

وعلينا أن نعي وندرك أهمية الدعاء وفضله وأنه سلاح عظيم بيد المؤمن، إذا أحسن استعماله حقق به ما لا يستطيع تحقيقه بكثرة الجهد والتعب، ومن حسن استعماله صلاح قلب الداعي، وطهارة لسانه وتنزيهه عن الفحش والسب والقدح والتطاول والغيبة، وقوة تعلقه بربه، وصدق اللجوء إليه كلما دعاه، وحسن العلاقة معه بصدق التوجه إليه، وإخلاص العمل له، وكثرة التوبة إليه واستغفاره والندم على الذنوب، والخوف من المعاصي، والبعد عن الكسب الخبيث، والتقرب إلى الله بالنوافل والصدقات. وقد ورد في الحديث القدسي: «**لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه**» [2].

وللدعاء شروط من أهمها تحري الساعات الشريفة، والأماكن الطاهرة، كالدعاء في جوف الليل وبعد الصلوات، وفي يوم الجمعة، وفي أيام رمضان ولياليه، وفي المساجد، وعند تلاوة القرآن، كلما مر بآية عذاب استعاذ بالله، وإذا مر بآية رحمة سأل الله أن يكون له بها نصيب، وأن يكثر الدعاء أثناء السجود في النوافل، وفي السفر، وأن لا يدعو وهو غافل، وأن لا يستبطئ الإجابة، وأن يكون ماله حلالاً مستطابًا، وأن يكون مستيقناً بالإجابة لأنه دليل الثقة بالله، وكثرة ما عنده وامتلاء خزائنه. فقد ورد في الحديث القدسي :« يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت

(١) رواه الحاكم.

(٢) رواه البخاري.

كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط[1] إذا أدخل البحر»[2].

ومن شروط الدعاء أيضًا أن تتوسل إلى الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، فقد كان النبي ﷺ إذا كربه أمر قال: «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**»[3] .

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ كان يقول عند الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض رب العرش الكريم**»[4].

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**دعوة ذي النون إذ دعاه وهو في بطن الحوت:** ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ **أنه لم يدع بها مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له**».[قال الترمذي: حديث صحيح].

وفي مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب أحدًا قط هم ولا حزن فقال :« **اللَّهُمَّ إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك، عدل فيّ قضاؤك أسألك اللَّهُمَّ بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور صدري وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله**

(١) الإبرة وما يقوم مقامها .

(٢) رواه مسلم .

(٣)رواه الترمذي عن أنس.

(٤) ورواه الإمام أحمد في مسنده.

مكانه فرحًا». فقيل : يا رسول الله ألا نتعلمها ؟ قال :« **بل ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها»**.

وعن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ كان يدعو عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم ...لا إله إلا الله رب السموات والأرض رب العرش العظيم»[1]، وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**يا موسى أو يا عبد الله ، ألا أعلمك كلمة من كنور الجنة؟** قلت: بلى، قال: **لا حول ولا قوة إلا بالله**» .

وعن ابن عباس ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**هل أدلكم على اسم الله الأعظم، دعاء يونس**، فقال رجل: يا رسول الله هل كان ليونس خاصة؟ فقال:**ألا تسمع قوله تعالى:**﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]، **فأيما مسلم دعا بها في مرضه أربعين مرة فمات من مرضه ذلك أعطي أجر شهيد، وإن بريء بريء مغفورًا له**»[2]. وكان دعاء يونس : ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : كان النبي ﷺ يقول : «**اللَّهُمَّ أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، والموت راحة لي من كل شر**».

وعن عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللَّهُمَّ إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**»[3].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك.

(٣) رواه مسلم .

ولا يجوز الاتكال على الدعاء فقط وترك الأسباب، فإن تركها معصية لله تعالى. ومن لوازم الدعاء كثرة ذكر الله وتلاوة القرآن وكثرة الاستغفار، والاستقامة على الإسلام والاستجابة لله في كل ما أمر، وترك كل ما نهى عنه وزجر، والاعتقاد الجازم بأن تشريعات الإسلام أكمل الشرائع وأتمها، وأنها السبيل الوحيدة لعزة المسلمين، وسعادة الإنسانية، وأن كل شر يقع على المسلمين، إنما يقع بسبب بعدهم عن دينهم وتعطيلهم لحكم ربهم، وأنهم لن يرشدوا ويسعدوا إلا بالعودة الصادقة إلى كتاب الله تعالى وسُنَّة نبيه ﷺ الذي جعله الله: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وأن رمضان هو شهر هذا القرآن، وأنه خير مناسبة لقراءته وتدبره وفهمه والعمل به، ودعوة الناس إلى التمسك به والنزول على حكمه: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وصدق الله العظيم.

إكثاره ﷺ من فعل الخيرات في رمضان

مر بنا في الحلقات السابقة طرفًا من كثرة عباداته وزيادة قيامه في رمضان، واجتهاده في أعمال البر والتقوى زيادة عما كان يفعله في غير رمضان.

وقد روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها عندما سئلت : أكان رسول الله ﷺ يصوم شهرًا كله، قالت: ما علمته صام شهرًا كله إلا رمضان ولا أفطره كله حتى يصوم منه حتى مضى لسبيله .

ومن حميد أخلاقه وعظيم سجاياه ﷺ كثرة جوده، وبالغ كرمه في كل أحواله، وغالب أيامه، كلما كان في يده شيء يعطيه فهو جواد على الدوام كريم وبالمؤمنين رؤوف رحيم : عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : «ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا فقال : لا »[1].

ولم يكن جوده ﷺ خاصًا برمضان، فقد كان جوادًا كريمًا في كل أحواله، وإنما كان يزداد في هذا الشهر كرماً وبراً وجودًا، ويعلم صحابته وأهل بيته ويشعرهم بأهمية هذا الشهر الكريم وضرورة زيادة الخيرات فيه، وذلك لأن الحسنات تضاعف في رمضان، وقد مر بنا قوله في حديث سلمان الفارسي : خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان قال : «... **من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة،**

(١) متفق عليه .

وشهر المواساة، من فطَّر صائمًا كان مغفرة لذنوبه ... » [١].

ولذلك كان ﷺ أجود الناس ولكنه أجود ما يكون في هذا الشهر. عن ابن عباس ﷺ قال:«كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه جبريل من كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة» [٢].

وعن أحمد زيادة: «لا يسأل عن شيء إلا أعطاه» [٣].

وقد أراد بالريح - كما قال ابن حجر في الفتح- : ريح الرحمة التي يرسلها الله تعالى لإنزال الغيث العام، الذي يكون سببًا لإصابة الأرض الميتة وغير الميتة، فيعم خيره وبره من هو بصفة الفقر، ومن هو بصفة الغنى والكفاية. وعبر بالمرسلة إشارة إلى دوام هبوبها بالرحمة وإلى عموم النفع بجوده، كما تعم الريح المرسلة جميع ما تهب عليه، بل وفضل ﷺ عليها ليفيد أنه في الإسراع بالجود أسرع منها .

ولم يكن جوده خاصاً بوقت دون وقت، إلا أنه في رمضان يتضاعف، ولم يزل رسول الله ﷺ منذ نشأ مجبولاً على بذل أنواع الجود من العلم والمال وغيرهما .

أصابت قريشًا سنة[٤]، فقال رسول الله ﷺ لعمه العباس: «**يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق**

---

(١) رواه ابن خزيمة وصححه .

(٢) متفق عليه .

(٣) انظر حديث عائشة و في باب استعداد النبي ﷺ لرمضان .

(٤) سنة : قحط وشدة لعدم نزول المطر .

بنا إليه فلنخفف عنه من عياله، آخذ أنا من بنيه رجلاً، وتأخذ أنت رجلًا، فنكفلهما عنه»، فقال العباس : نعم ... فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمه إليه، وأخذ العباس جعفر فضمه إليه. وكان ذلك قبل البعثة[١].

ولهذا قالت له خديجة حين عاد من الغار خائفاً حين بدأه جبريل بالوحي: «والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[٢].

وجاء في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه :« كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس، وأجود الناس».

وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه : «ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا إلا أعطاه، فجاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال : يا قوم أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة».

وقال أنس: «إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يمسي حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها».

ولما انتصر على هوازن وسبي نساءهم وأبناءهم، وغنم أموالهم يوم حنين، قسم كل تلك الأموال على المؤلفة قلوبهم من قريش وثقيف، ولم يعط الأنصار شيئًا، ولما وجد الأنصار في أنفسهم خطب فيهم وكان مما قاله: «**أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة**[٣] **من الدنيا، تألفت بها قوما ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب**

(١) سيرة ابن هشام المجلد الأول ص ٢٤٦.

(٢) رواه البخاري.

(٣) البقية اليسيرة في الإناء.

الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ....»[1].

وأعطى رسول الله ﷺ من تلك الغنائم صفوان بن أمية واديًا إبلاً وغنمًا حتى قال صفوان: «لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لمن أبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ، ثم قال: أشهد ما طابت بهذا إلا نفس نبي».

ومن دلائل كرمه العظيم ما رواه البخاري ومسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرَّة بالمدينة فاستقبلنا أُحد فقال: «**يا أبا ذر**» قلت: لبيك يا رسول الله . فقال : «**ما يسرني أن عندي مثل أُحد هذا ذهبًا تمضي عليَّ ثلاثة أيام عندي منه دينار إلا شيء أرصده لدَيْن، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله، ومن خلفه**، ثم سار فقال: «**إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة، إلا من قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله خلفه**»[2] .

ومن ولو تأملنا هذا الحديث لرأينا فيه نموذجًا فريدًا للكرم يعجز الخيال عن إدراك مداه، والذين يعرفون جبل أُحد في المدينة المنورة بضخامته وامتداده وشموخه، يدركون أننا لو أحضرنا ألوف العمال، ومئات سيارات النقل الضخمة، وألوف أطنان المتفجرات، ودأبنا على الأخذ من هذا الجبل مئات السنين، لما أزيل هذا الجبل عن آخره، ورسول الله ﷺ لو كان عنده من الذهب مثله واستطاع أن يأتي عليه في ثلاثة أيام يجعله في عباد الله فلا يبقي منه شيئًا إلا شيئًا يفي دينه إن كان عليه دين، يقول به في عباد الله هكذا، وهكذا

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه .

وهكذا ... إنه عطاء نبي كريم ... ورسول عظيم... وهو عطاء من لا يخشى الفقر ويثق فيما عند الله وأن ما عند الله خير وأبقى .

فهل عرفت الدنيا في تاريخها كريمًا كهذا الكريم؟ ... وهل عرفت الفصاحة في لغات الدنيا كلها مثل هذه البلاغة، التي يعجز الخيال عن إدراكها والإحاطة بها؟ وما قال رسول الله ﷺ هذا إلا ليقرب حقيقة ما يتصف به من كرم إلى الأذهان، لعلها تعي كرمه وعظيم جوده.

وحاشا لرسول الله ﷺ أن يدعي ما ليس فيه، وأن يقول ما لا يفعل وهو الذي أنزل عليه قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف : ٢، ٣].

وهو الذي قال عنه : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤] .

نسأل الله أن يعلمنا هذه السيرة المجيدة، ويرزقنا حسن الاتباع والمتابعة لسيدنا محمد ﷺ .

تلاوته ﷺ للقرآن الكريم

كان رسول الله ﷺ كثير الحب للقرآن، كثير التلاوة له في رمضان، وفي غير رمضان، وكان يحب أن يسمع القرآن من غيره.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**اقرأ علي القرآن**». فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**». فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ قال: «**حسبك الآن**» فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان[1].

وكان ﷺ حسن التلاوة للقرآن، لا يعجل في تلاوته، بل يرتله بأجود ما يكون الترتيل تعظيمًا له وتوقيراً، واستجابة لأمر ربه ﷻ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] وكان يقوم بآياته متهجدا ليلاً طويلاً.

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «سمعت رسول الله ﷺ قرأ في العشاء بالتين والزيتون فما سمعت أحدًا أحسن صوتا منه...»[2].

وكيف لا يقوم بالقرآن ليلاً طويلاً، وكان من أول ما نزل عليه من القرآن قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِّ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ١ - ٤].

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

وإذا كان هذا شأنه مع القرآن في غير رمضان، فماذا يكون شأنه مع القرآن في رمضان الذي أنزل فيه القرآن؟

عن ابن عباس ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة»[1].

ومدارسته القرآن مع جبريل عليه السلام أن يقرأ جبريل فيسمع هو، ثم يقرأ ﷺ وجبريل يسمع، وذلك لضبط القرآن وحفظه، والتأكد من كمال دقته، وعدم نسيانه، مع أن الله ﷻ قد تكفل لنبيه عدم نسيانه فخاطبه بقوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦]. وهذه المدارسة جزء من الذي تعهد به الله ﷻ لكتابه بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وكان رمضان مناسبة سنوية لمدارسة القرآن مع جبريل مرة في كل عام، فلما كان العام الذي صام فيه النبي ﷺ آخر رمضان دارسه جبريل القرآن مرتين[2].

وفي حديث مدارسته القرآن، وأنه كان أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان فوائد ذكر منها النووي[3]:

- بيان عظم جوده ﷺ.
- استحباب إكثار الجود في رمضان.

---

(١) متفق عليه.

(٢) انظر حديث ابن عباس في قول ابن حجر في الفقرة التالية.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، جزء (١٥)، ص ٦٩.

- زيادة الجود والخير عند لقاء الصالحين وعقب فراقهم للتأثر بلقائهم .

- استحباب مدارة القرآن وكثرة تلاوته .

وقال الحافظ ابن حجر[1]:

قلت: وفيه إشارة إلى ابتداء نزول القرآن في شهر رمضان، لأن نزوله إلى السماء الدنيا جملة واحدة كان في رمضان كما ثبت في حديث ابن عباس: «فكان جبريل يتعاهده كل سنة فيعارضه بما نزل عليه من رمضان إلى رمضان فلما كان العام الذي توفى فيه عارضه به مرتين».

وقد أكثر النبي ﷺ من الحض على تلاوة القرآن في رمضان وفي غير رمضان، كما حضت آيات كثيرة من القرآن على ذلك فمن ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ ...﴾ [المزمل: ٢٠].

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله تعالى في سياق الوعيد للذين يهجرون القرآن وينصرفون عنه إلى غيره: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، وقوله تعالى في الثناء على الذين تخشع قلوبهم لسماع القرآن: ﴿...إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨] .

ومن ترغيب النبي في تلاوة القرآن وحضه عليه ﷺ قوله: «**اقرأوا القرآن**

(١) فتح الباري بشرح ابن حجر، جزء (١)، ص٣١.

فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»[1].

وقوله : «**الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة،والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**» [2].

وقوله: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**»[3].

وإنه لجدير بهذه الأمة وهي تستقبل رمضان في كل عام أن تتخذه شهر تلاوة القرآن، ودراسته وفهمه وتدبره وإقامة حروفه ومعانيه في نفوسها لتنصبغ بصبغته، وتصاغ أخلاقها بتوجيهاته، وتعرف من خلال ما أوجبه عليها ربها تبارك وتعالى من لزوم اتباعه، ووجوب تحكيمه، وأخذه بقوة، لتستقيم به حياتها المضطربة، وتخرج بآياته من الظلمات إلى النور بإذن ربها، فلطالما مزقتها الفرقة والتناحر، وأكلت أكبادها العداوة والبغضاء ببعدها عن القرآن.

لا بد أن يكون رمضان شهر الإقبال على القرآن، والاستغناء به عما سواه، والاقتناع الكامل بأنه جامع لكل أنواع الهداية كما قال تعالى:﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[النحل: ٨٩] وأنه مبارك ورحمة.

قال تعالى : ﴿... كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥] ، وإن كل من طلب الهداية في أي شأن من شؤون الحياة، في غير هذا القرآن، وهدي المصطفى عليه الصلاة والسلام، فقد ضل وغوى، وعاش حياته مخذولاً ذليلاً : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا

---

(١) رواه مسلم .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح.

وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾[طه: ١٢٤].

إن المسلم عندما يقرأ القرآن في رمضان وفي غير رمضان تملأ قلبه سعادة غامرة، ويغشاه يقين لأنه يتذكر قول الله تعالى:﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴾[الإسراء: ٩] فيحس بهذه الهداية في كل شأن من شؤون الحياة،صغيرها وجليلها، عظيمها ويسيرها وما بين ذلك لأنه كلام الله وهديه .

ومن هنا تأتي الراحة والطمأنينة بعكس أولئك الذين هجروا القرآن وأعرضوا عنه فضلوا سواء السبيل فسبحان الله القائل :﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[الرعد: ١٩] .

وصال الرسول ﷺ للصوم ونهيه عنه

الوصال في الصوم هو أن يواصل الصائم صيام يومين فأكثر من غير أكل أو شرب، وكان رسول الله ﷺ يواصل في بعض الأحيان، ولكنه نهى عن الوصال رحمة بأمته ... وكيف لا وكيف لا وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم... وهو ﷺ الرحمة المهداة إلى هذه الأمة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« **إياكم والوصال**» . قالوا : فإنك تواصل يا رسول الله قال :« **إنكم لستم في ذلك مثلي، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني فاكلفوا من الأعمال ما تطيقون**»[١] .

وفي حديث آخر عن أبي هريرة قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الوصال فقال رجل من المسلمين: فإنك يا رسول الله تواصل. قال رسول الله ﷺ: «**وأيكم مثلي ؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني**»، فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يومًا ثم رأوا الهلال فقال: «**لو تأخر الهلال قليلا لزدتكم كالمنكل لهم حين أبوا أن ينتهوا**»[٢].

وفي رواية أخرى : فواصل ناس من المسلمين فبلغه ذلك : فقال :«**لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالاً يدع المتعمقون تعمقهم**».

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

ومن هذه الأحاديث يؤخذ النهي عن الوصال شفقة ورحمة بأمته، وأن مواصلته بهم كانت درسًا عمليًّا ليذوقوا مشقة الوصال، ويدركوا ما يترتب عليه من الملل في العبادة والتقصير في بعض وظائف الدين، من إتمام الصلاة بخشوعها وأذكارها وآدابها، والتقصير في شؤون المعاش ، والسعي في كفاية النفس والأهل، والعجز عن قيام رمضان وما تتعرض له الأجسام من الضعف والسقم وزوال الصحة.

ولكنه ﷺ رخص في الوصال إلى السحر لمن أراد، وذلك بالاستغناء عن الفطور والاكتفاء بالسحور.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لا تواصلوا، فأيكم أراد أن يواصل فليواصل إلى السحر**»[1]. لأن المواصلة إلى السحر ممكنة ومحتملة، ويبقى تعجيل الفطر وتأخير السحور أفضل كما مر في حديث «**إن أحب عبادي إلي أعجلهم فطرا**»[2]. وفي حديث: «**لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور** »[3].

والأحاديث الأخرى التي مرت في باب فطره ﷺ . أوضحت هذه الناحية ... ولكنها هنا تلقي الضوء على هذا الجانب التربوي ... وهذا الامتثال من الصحابة رضوان الله عليهم ... وذلك الحرص على تتبع سُنَّته والاقتداء بجميع أفعاله وأعماله والاستماع في أدب لكل توجيهاته ... والحرص على متابعته لأنه القدوة ولأنه الأسوة ولأنهم أحبوه أكثر من أموالهم وأولادهم وأنفسهم رضوان الله عليهم، ويبقى الوصال حكمًا خاصًا بالنبي ﷺ تعبد به دون أحد من

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد والترمذي .

(٣) رواه أحمد وأورده الهيثمي .

أمته، وذلك ما يقوله :«**وأيكم مثلي؟ إنني أبيت يطعمني ربي ويسقيني**» وما في معناه في الروايات الكثيرة الواردة في البخاري ومسلم.

قال الإمام النووي [1] رحمه الله في شرح صحيح مسلم : قوله : «**إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني** ».

معناه: يجعله الله في قوة الطاعم الشارب، وقيل وعلى ظاهره، والصحيح الأول.

وذهب ابن القيم رحمه الله مذهبًا روحيًا صرفًا مزج فيه بين الحب والشعور بلذة المناجاة في معنى قولهﷺ :« **إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني**» .

قال في كتاب «الهدي النبوي» : إن المراد ما يغذيه الله به من معارفه، وما يفيض على قلبه من لذة مناجاته، وقرة عينه بقربه وتنعمه بحبه والشوق إليه، وتوابع ذلك من الأحوال التي هي غذاء القلوب ونعيم الأرواح، وقرة العين وبهجة النفس والروح والقلب، بما هو أعظم غذاء وأجوده وأنفعه، وقد يقوي هذا الغذاء حتى يغني عن غذاء الأجسام مدة من الزمان كما قيل:

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور تستضيء به ومن حديثك في أعقابها حادي
إذا اشتكت من كلال السير أوعدها روح القدوم فتحيا عند ميعاد

ثم قال رحمه الله:«ومن له أدنى تجربة وشوق يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب والروح عن كثير من الغذاء الحيواني »[2].

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، جزء (٧)، ص٢١٢.

(٢) زاد المعاد ٢/ ٣٢.

ولا شك أن المتتبع لهذه الأحاديث عن الوصال، يدرك أن استغناء النبي ﷺ عن الطعام والشراب أثناء وصاله، هو إحدى خصوصياته الكثيرة، وهذا العطاء من الله ﷻ، يقابل تكاليف خص بها من دون الأنبياء والناس أجمعين ، كوجوب قيام الليل عليه الصلاة والسلام.

والخلاصة أن أمته مكلفة بالصيام من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، دون زيادة أو نقصان ولم يتعبدها ربها سبحانه بالوصال كما تعبد ذلك نبيه . والحمد لله الذي هدانا إلى سواء السبيل وأكمل لنا هذا الدين.

اغتساله ﷺ بين العشائين في رمضان

ورد في خبر لم يسلم من التضعيف، أن النبي ﷺ كان يغتسل بين المغرب والعشاء كل ليلة من ليالي العشر الأواخر في رمضان.

روى ابن أبي عاصم بإسناد متقارب عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ، إذا كان رمضان صام وقام، فإذا دخل العشر الأواخر شد المئزر واجتنب النساء واغتسل بين الأذانين وجعل العشاء سحورا».

وفي رواية أنه ﷺ يغتسل بين العشائين كل ليلة يعني العشر الأواخر.

وأخرج ابن أبي عاصم عن حذيفة أنه نام مع النبي ﷺ في رمضان فاغتسل النبي ﷺ وستره حذيفة وبقيت فضلة فاغتسل بها حذيفة وستره النبي ﷺ .

وبناء على هذه الأخبار الضعيفة التي يقوي بعضها بعضًا استحب بعض العلماء الغسل ما بين العشائين في ليالي العشر الأخيرة من رمضان، وأن ذلك من فضائل الأعمال التي يجوز فيها العمل بالحديث الضعيف لا سيما الحديث الذي تؤيده أحاديث أخرى من نوعه فيقوي بعضها بعضاً .

قال ابن جرير:«كانوا يستحبون أن يغتسلوا كل ليلة من ليالي العشر الأخيرة، ومنهم من كان يغتسل ويتطيب في الليالي التي هي أرجى ليلة القدر».

عن أنس رضي الله عنه أنه كان يفعل ذلك ليلة أربع وعشرين ويلبس حلة إزاراً ورداء فإذا أصبح طواها فلا يلبسها إلا إلى مثلها من قابل.

واشترى تميم الداري حلة بألف درهم في الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر وكان حميد الطويل، وثابت البناني يلبسان أحسن ثيابهما ويتطيبان ويطيبان المسجد في الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر، فبان بهذا أنه يستحب في الليالي التي ترجى فيها ليلة القدر، التنظف والتزين والتطيب بالغسل والطيب واللباس الحسن كما شرع ذلك في الجمع والأعياد وشرع ذلك أيضًا في سائر الصلوات. قال تعالى: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١] وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «الله أحق أن يتزين له». اهـ.

الترهيب من الفطر في رمضان

يشهد واقع المسلمين اليوم أن بعضًا من الناس لا يؤدون لله ﷻ هذه الفريضة، ويضيعونها مع سائر الفرائض الأخرى، وهؤلاء في الحقيقة فريقان:

فريق لا يؤديها استعلاء عليها، وإنكارًا لفرضيتها، أو إلحادًا في الدين، وكفرًا بالله واليوم الآخر، وهؤلاء قوم كفروا بالله وباليوم الآخر والملائكة والنبيين فليس لنا معهم في هذا المجال حديث، ولا بيننا وبينهم لقاء ولا مودة حتى يؤمنوا بالله وحده، وقد أمرنا الله تعالى أن لا نركن إليهم ولا نواليهم: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣]. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ﴾[العنكبوت: ٦٨].

وفريق يترك فرائض الله استثقالاً لها، وإعلانًا للعجز عن أدائها بحجج واهية، وأقوال ضالة غاوية، ولو صح ما زعموا لما افترضها الله على عباده وهو العليم بخلقه وما يقدرون عليه وما يعجزون عنه، قال الله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢].

فكل التكاليف المشروعة، والواجبات المفروضة داخلة في هذه الاستطاعة ومقدور عليها بعون الله وتوفيقه، والذين يؤدونها على أحسن وجوهها شهود على هؤلاء وحجة على خلقه أجمعين، ولو علم الله تعالى أن شيئًا منها خارج عن حدود الاستطاعة ما أوجبها على عباده، وهو الذي خلقهم

لأجلها، تشريفاً لهم ورفعًا لشأنهم، مع أنه سبحانه غني عن خلقه أجمعين، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٧]، فالله لا تفيده طاعة ولا تضره معصية :« **يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم وصغيركم وكبيركم وذكركم وأنثاكم على قلب أتقاكم رجلًا واحدًا لم تزيدوا في ملكي شيئًا ولو أن أولكم وآخركم وجنكم وأنسكم وصغيركم وكبيركم وذكركم وأنثاكم على قلب أكفركم رجلًا لم ينقصوا من ملكي شيئًا إلا كما ينقص رأس المخيط من البحر**»[1].

ومن عجيب أمر الناس أنهم يصدقون ما يقوله مصمم الآلة، ويقرأون خطة تشغيلها وطرق الاستفادة منها، ويلتزمون بها، ويجتنبون مخالفتها ويأخذون أقواله على محمل الجد، فلا يخالفون أمره حفاظًا عليها، وتفاديًا للأضرار المترتبة على مخالفتها ويعتقدون أن ما يقوله هو كلام خبير صنع هذه الآلة، وهو عليم بما يصلحها ويفسدها .

فإذا تلقوا أمرًا ممن خلق السماوات والأرض، وخلقهم من تراب ثم من نطفة ثم سواهم فأحسن خلقهم رأيتهم يسألون عن الحكمة من أمره ونهيه وعن الفائدة المترتبة على ذلك!!

ولهؤلاء نوجه الحديث سائلين الله أن ينفعهم به، وأن يهدينا وإياهم سواء السبيل فنقول :

إن الذين يصومون وهم كثير والحمد لله لا يحصون عدا، فيهم الشيخ الكبير، والكهل القوي، والشاب الفتي، والصبي الصغير، ومنهم من يقوم بعمله اليومي فيؤديه على أكمل الوجوه، وهؤلاء حجة على من خالفهم

(١) رواه الإمام أحمد بن حنبل.

وهم يعلمون بالتجربة أن النية الصادقة والعزيمة على الصيام تجعل النفس تتقبله راضية صابرة، فتجد فيه من لذة الطاعة أضعاف ما تجده من ألم الجوع والعطش وتؤمل بثواب الله الجزيل، ووعده الصادق حتى ترى الصيام هيناً ليناً، لا ضيقاً ولا حرجًا، تتضاءل أمامه كل الصعاب وتصغر في مقابله كل الشهوات، يحدوهم قول الحق تبارك وتعالى في الحديث القدسي: «**يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي الصيام لي وأنا أجزي به**»[١].

وقد حذر النبي ﷺ من الإفطار في رمضان تحذيراً شديدًا فقال :« **عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة، عليهن أسس الإسلام، من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم، شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة المكتوبة، وصوم رمضان** »[٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «**من أفطر يومًا من رمضان في غير رخصة رخصها الله له لم يقضِ عنه صيام الدهر كله وإن صامه**» [٣].

وقد عدَّ الذهبي الإفطار في رمضان من غير عذر من الكبائر، وقال في ذلك: «وعند المؤمنين مقرر أن من ترك صوم رمضان بلا مرض أنه أشر من الزاني ومدمن الخمر بل يشكون في إسلامه، ويظنون به الزندقة والانحلال »[٤] .

ولكن ... هل يفهم من هذا وذاك أن من أفطر في رمضان فقد انتهى أمره وساء مصيره ولن يغفر الله له ...؟ تعالوا نبحث عن جواب ذلك في كتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ ...

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه أبو يعلى والديلمي وصححه الذهبي.

(٣) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي.

(٤) كتاب الكبائر للذهبي ص ٣٧.

يقول الله ﷻ :﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ...﴾ [النساء : ٤٨] .

ويدعو عباده ليتوبوا إليه ويستغفروه فيقول : ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا﴾ [نوح: ١٠]، ويقول :﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١١٠]، ويقول ﷻ :﴿.... وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المزمل : ٢٠].

وفي الحديث عن أبي موسى الأشعري ﷺ : أن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها[1] .

وعن أبي حمزة أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره** - أي: وجده - **وقد أضله في أرض فلاة**». [متفق عليه]، وفي رواية لمسلم :« **لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح**».

والله ﷻ يدعو عباده الذين أسرفوا على أنفسهم بكثرة المعاصي بهذا النداء الحاني الرحيم فيقول ﷻ :﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

(١) رواه مسلم .

ورب ساعة يعلن فيها المؤمن أوبته وتوبته إلى الله بعد شرود طويل ويعلن ندمه على ما كان منه من الذنوب الكثيرة التي ملأ بها الأرض ... ورب دمعة يذرفها من خشية الله في تأوه وتندم، مع العزيمة على الإقلاع عن الذنوب يمحو الله بذلك عنه كل ما اقترف وأجرم، وقد ورد في الحديث الصحيح: «... **وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**»[1].

أما الحديث: «**لم يقضِ عنه صوم الدهر وإن صامه**»، فللترهيب من الفطر وبيان عظم الذنب، والنقص في الحسنات العظيمة التي تنال بصيام الفريضة.

ولإيضاح خطر المخالفة ... وبلاء الجرأة على حرمات الله وأبعاد التعرض لغضب الله ﷻ.

والله ﷻ حين يقبل توبة عبده ويعلم صدقه وندمه لا يتعاظمه ذنب مهما كبر، وهو القائل سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وإن من تمام التوبة من الإفطار في رمضان من غير عذر أن يجتهد في قضاء ما أفطر، فإن عجز عن ذلك لكثرته قضى ما استطاع، وأطعم عما لم يستطع، فإن عجز عن الإطعام والقضاء فليكثر من الندم والاستغفار وليحسن الظن بالله وليعلم أن الله غفور رحيم.

(١) رواه البخاري ومسلم.

مع النبي ﷺ في قيام رمضان

كان رسول الله ﷺ أعبد الناس وأتقاهم لله تعالى، وأكثرهم خشية ومعرفة بالله : «**والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم وأعلمكم بما أتقي**»[1]، وكان ذلك شأنه في رمضان وغير رمضان، وقد كان قيام الليل واجبًا في حقه وكان من أوائل ما نزل من الوحي عليه ﷺ، قول الله تعالى :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ [المزمل:١-٣] ، فكان ذلك شأنًا خاصاً بالنبي ﷺ في وجوب قيامه لليل.

ويؤكد هذا الوجوب قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء : ٧٩] .

وقد كان له في طول قيامه وكثرة بكائه، أحوال تدعو إلى التفكير والتدقيق وأخذ القدوة والأسوة حتى تفطرت[2] قدماه، وكثيرًا ما كان يبلل لحيته، ويبلل الأرض بدموعه عليه أفضل الصلاة والسلام إقبالاً على الله وتقربا إليه. وشكرًا له ﷻ.

عن عائشة رضي الله عنها قالت:كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر.

(١) رواه أحمد.

(٢) تشققت.

قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورا**»[1]، وعن المغيرة نحو ذلك.

وعن عبد الله بن عمر ﷺ عن عائشة ﷺ نحو ذلك رواه ابن مردويه عن عطاء وفيه: «فتوضأ ولم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد فبكى حتى بل الأرض، ثم اضطجع على جنبه فبكى، حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح قالت: فقال: يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال: «**ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله علي في هذه الليلة**: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

أما في رمضان فكان أكثر قيامًا، وأكثر اجتهاداً لفضيلة الشهر، وفضيلة القيام فيه، فعن عائشة ﷺ قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر»[2]. وفي رواية مسلم: كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر، واختلف في معنى «**وشد المئزر**» وقيل: كناية عن شده اجتهاده وتشميره وبذل جهده في عبادة الله وقيل عطف: (وشد المئزر) على (وجد) في رواية مسلم (وجد وشد المئزر) والعطف يقتضي المغايرة. وقيل: المراد به اعتزاله النساء، وبه قال كثير من الأئمة، وجاء مصرحًا به في حديث عائشة وأنس ﷺ ففي رواية: «لم يأوِ إلى فراشه حتى ينسلخ رمضان»، وفي رواية: «وطوى فراشه واعتزل النساء».

وكان من شأنه ﷺ حثُّ أمته على قيام رمضان، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**»[3].

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

وعن أبي هريرة أيضًا قال: كان رسول الله ﷺ يرغب في قيام رمضان، من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة فيقول: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [(١)].

وقد تقدم قوله حين خطب آخر يوم من شعبان: «**شهر جعل الله صيامه فريضة وقيامه تطوعًا**»... وفي حديث آخر عن عبادة بن الصامته رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يومًا وحضر رمضان: «**أتاكم رمضان، شهر بركة، يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيرًا فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله** »[(٢)].

وقيام رمضان هو صلاة التراويح، وليس قيام الليل المندوب إليه على أيام السنة، والذي كان واجبًا بحق النبي ﷺ يحافظ عليه، وهو شعار الصالحين وسيما المتقين، قال تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٦، ١٧].

قال النووي[(٣)] في شرح مسلم : « والمراد بقيام رمضان صلاة التراويح»، وقال الباجي المالكي:« يجب أن يكون صلاة تختص به أي برمضان ولو كان شائعًا في جميع السنة لما اختص به ولا نسب إليه».

وقد كان الصحابة في عهد رسول الله ﷺ يصلونها أوزاعاً [(٤)]وصلوا مع رسول الله ﷺ مرة بالمسجد كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان الناس

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي جزء (٦)، ص٣٩.

(٤) متفرقون.

يصلون في مسجد رسول الله ﷺ في رمضان أوزاعًا، يكون مع الرجل الشيء من القرآن فيكون معه النفر الخمسة أو الستة، أو أقل من ذلك أو أكثر يصلون بصلاته، قالت: فأمرني رسول الله ﷺ ليلة من ذلك أن أنصب حصيرًا على باب حجرتي ففعلت، فخرج رسول الله ﷺ بعد أن صلى العشاء الآخرة، فاجتمع إليه من في المسجد فصلى بهم رسول الله ﷺ ليلاً طويلاً، ثم انصرف فدخل، وتركت الحصير على حاله «أي: لتصلي في الليالي الأخرى» فلما أصبح النهار تحدثوا بصلاة رسول الله ﷺ بمن كان في المسجد تلك الليلة فأمسى المسجد زاخراً بالناس فصلى بهم صلاة العشاء الآخرة ثم دخل بيته وثبت الناس، فقال لي:« **ما شأن الناس؟**» فقلت له : سمع الناس بصلاتك البارحة بمن كان في المسجد فحشدوا لذلك لتصلي بهم، قال :« **اطوي عنا حصيرك، يا عائشة**»، ففعلت فبات رسول الله ﷺ غير غافل، أي يصلي في بيته، وثبت الناس مكانهم حتى خرج إليهم لصلاة الصبح، فقال: «**يا أيها الناس أما والله ما بت والحمد لله ليلتي غافلاً، وما خفي علي مكانكم** (اجتماعكم) **ولكني تخوفت أن يفرض عليكم** (أي: قيام رمضان) **أكلفوا من الأمر ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا**»»[1].

وهذا من كمال شفقته على أمته ورحمته، فإنه خشي أن تفرض عليهم ويعجز عنها ناس أو يتقاعس عنها آخرون فيلحق بهم الإثم.

وتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك في صلاة التراويح، واستمر على ذلك في خلافة أبي بكر ﷺ وصدرًا من خلافة عمر، ثم جمعهم عمر بن الخطاب ﷺ على إمام واحد .

---

(١) رواه مسلم .

فعن عبد الرحمن القاري قال:«خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا أوزاع متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم بجمعهم على أُبيّ بن كعب، قال: ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، فقال عمر: نعمت البدعة هذه، والتي تنامون أفضل من التي تقومون ؛ يعني : آخر الليل، وأن القيام فيه أفضل ولو كان الناس يقومون أوله»[1] .

أما عدد ركعات القيام في رمضان فإن المروي عن عائشة ﵂ : «ما كان النبي ﷺ يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة»[2] .

وعن ابن عباس ﵄ : «كان رسول الله ﷺ يصلي في الليل ثلاث عشرة ركعة»[3].

قال العلماء: المراد بالحديثين قيام الليل ولا علاقة لهما بقيام رمضان ألبتة، وحديث ابن عباس، مثبت وليس فيه نفي الزيادة، والمثبت مقدم على النافي.

وقال بعضهم : كثرة العدد وقلته على حب طول القراءة وقصرها.

والراجح في قيام رمضان أنها عشرون ركعة عدا الوتر، لما قاله الترمذي في جامعه: «أكثر أهل العلم على ما روي عن عمر بن الخطاب وعلي وغيرهما

---

(١) رواه الإمام مالك والبخاري.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه مسلم.

من أصحاب النبي ﷺ عشرين ركعة»[1]. قال الشافعي : «وهكذا أدركت ببلدنا مكة يصلون عشرين ركعة»[2] وهو قول سفيان الثوري وابن المبارك.

وهذا الحديث تلقاه العلماء بالقبول، والتلقي من أرقى صفات القبول .

وقال ابن عبد البر : وهو الصحيح عن أبي بن كعب من غير خلاف بين الصحابة، وهو قول جمهور العلماء، وهو الاختيار عندنا .

وجاءت روايات كثيرة عن أصحاب علي ﷺ أنه كان يؤمهم في شهر رمضان بعشرين ركعة ويوتر بثلاث .

وروى البيهقي في السنن الكبرى بسنده عن يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد قال :« كانوا يقومون على عهد عمر ﷺ في رمضان بعشرين ركعة» .

وقد صححه النووي في «المجموع» ورواه الزيلعي في« نصب الراية» وصححه السبكي في «شرح المنهاج »وابن العراقي في «طرح التثريب» والعيني في «عمدة القاري» والسيوطي في «المصابيح في صلاة التراويح » وعلي القاري في «شرح الموطأ» وغيرهم.

وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: والاختلاف فيما زاد على العشرين راجع إلى الاختلاف في الوتر، فكأنه كان يوتر تارة بواحدة وتارة بثلاث.

وقال ابن تيمية في الفتاوى: « ثبت أن أبيّ بن كعب كان يقوم بالناس عشرين ركعة في رمضان ويوتر بثلاث، فرأى كثير من العلماء أن ذلك هو السُّنَّة لأنه قام بين المهاجرين والأنصار ولم ينكره منكر».

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه أحمد عن عمران بن الحصين ﷺ .

ونقل ابن قدامة في «المغني» الإجماع على أنها عشرون ركعة، وعلى ذلك الأئمة والعلماء، وقد استقر الرأي على عشرين ركعة من فعل عمر ﷺ وإجماع الصحابة ﷺ، وعلى ذلك الحرمان الشريفان في مكة والمدينة حتى اليوم، والمعمول به في العالم الإسلامي كله عشرون ركعة والوتر بعدها .

وفي الفتاوى النجدية أن الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ذكر في جوابه عن عدد التراويح أن عمر ﷺ لما جمع الناس على أبيّ بن كعب كانت صلاتهم عشرين ركعة.

ولا خلاف في أن قيام رمضان سُنّة يثاب فاعلها، ولا تثريب على تاركها. وإن كان يفوت على نفسه أجرًا عظيمًا، وليست العبرة بالعدد، إنما العبرة بما يحصل للمصلى من الخشوع والإخلاص والإحسان في صلاته، وقد يسبق صاحب الثماني صاحب العشرين بطول القراءة، وحصول الخشوع واللذة بالعبادة، فإذا اجتمع إلى العدد الكبير ذلك كله كان أحسن وأرضى لله ﷻ ما لم يحصل الملل والتعب الشديد وذهاب الخشوع، والذهول عن العبادة وربما كانت العشرون مع التخفيف أدعى لاستمرار النشاط وحصول الخشوع من التطويل الذي يؤدي إلى الملل.

ولا ينبغي للمسلمين أن يختلفوا في العدد لما يجره الخلاف من الفرقة والعداوة التي نهى الله عنها، وامتن على المسلمين بتطهيرهم منها فقال: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[الأنفال : ٦٣] .

وليس في الأمة اليوم من له الحق أن يدعي أن إجماع الأمة منذ عصر عمر ﷺ على عشرين ركعة كان خطأ، ومن تجرأ على هذا فقد زعم لنفسه أنه

أفقه من الصحابة، وأنه أفقه فقهاء هذه الأمة وأعلم علمائها قديمًا وحديثًا !!.

وإنه لحري بنا أن ننأى عن الطعن بمن روي عنهم من الصحابة أنهم صلوا عشرين ركعة وهم كثيرون، وقد تبعتهم الأمة في خير قرونها على ذلك، وهم الذين شهد لهم رسول الله ﷺ أنهم خير هذه الأمة إلى قيامة الساعة: «**خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم**» والأئمة الأربعة ومن رأى رأيهم من خير هذه القرون، ولا ينعقد إجماع الأئمة والعلماء على خطأ، والطعن في أولئك وهؤلاء طعن في الدين، فعنهم أخذت الأمة الدين كما بلغوه عن رسول الله ﷺ، أو كما بلغهم عنه، ورأوا العمل قائماً به في الحرمين الشريفين وفي سائر بلاد المسلمين.

ومن أراد أن يصلى ثمانيًا أو عشرًا فله ذلك، ولا تثريب عليه، ومن أراد أن يصلي عشرين أو ستاً وثلاثين كما هو الحال في أحد قولي الإمام مالك فله ذلك أيضًا، ومن أراد أن يزيد فلا بأس عليه أيضًا، كما هو وارد في كتب الفقه، والناس يتفاوتون في نشاطهم وقدراتهم، فمن قدر على الكثير من غير غلوٍّ فهو فائز بالرتبة الأعلى إن شاء الله والكل في موضع القبول من الله ﷻ ما دام العمل خالصًا لله، ولكن السُّنَّة التي سنها عمر رضي الله عنه ، وجمع الناس عليها هي الأفضل، وقد علمنا رسول الله ﷺ أن نستن بسنته وسُنَّة الخلفاء الراشدين من بعده فقال: «**عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين من بعدي**».

صوم النبي ﷺ في السفر

كثيرًا ما تعرض للناس حاجة إلى السفر، وكثيرًا ما تكون هذه الحاجة في شهر رمضان، فتجتمع فيه على المسلم مشقتان: مشقة الصوم ومشقة السفر، وقد وصف النبي ﷺ السفر فقال: «**السفر قطعة من العذاب**»(١).

لذلك نصت الآيتان اللتان تضمنتا فريضة الصوم على رخصة الفطر للمسافر والمريض. قال الله تعالى:﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٤]، فكان من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكينًا وذلك قبل أن يصبح الصيام على وجه الإلزام.

ثم أنزل الله ﷻ الآية الأخرى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فأثبت صيامه على المقيم الصحيح، ورخص فيه للمريض والمسافر، وأثبت الإطعام للكبير والمريض اللذين لا يستطيعان قضاء الصيام .

قال حمزة الأسلمي رضي الله عنه : يا رسول الله أجد مني قوة على الصوم في السفر، فهل عليّ جناح ؟ فقال :« **هي رخصة من الله تعالى فمن أخذ بها فحسن، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه**»(٢) .

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

وقد صادف سفر رسول الله ﷺ في الصيام مرات كثيرة، سافر إلى بدر في السنة الثانية من الهجرة وعاد منها في رمضان.

وسافر إلى مكة في جيش الفتح ومعه عشرة آلاف من المسلمين في رمضان في السنة الثامنة من الهجرة.

وعاد من تبوك في السنة التاسعة للهجرة وكان ذلك في رمضان، فكان يصوم مع أصحابه إذا لم يكن في الصوم مع السفر مشقة، ويرخص لهم بالإفطار إذا بدت له المشقة، ولكنه يأمرهم بالإفطار إذا كانت المشقة محققة كما هو الحال عند مجالدة الأعداء.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سافرنا مع رسول الله ﷺ إلى مكة ونحن صيام قال : فنزلنا منزلاً فقال رسول الله ﷺ: «**إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم**» . فكانت رخصة فمنا من صام، ومنا من أفطر، ثم نزلنا منزلًا آخر فقال : «**إنكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا**»، فكانت عزمة فأفطرنا ، ثم رأيتنا نصوم بعد ذلك مع رسول الله ﷺ في السفر[1] .

(١) رواه أحمد ومسلم وأبو داود.

بعض أحكام الصيام

١ - قضاء رمضان:

علمنا أن الله تعالى رخص للمريض والمسافر بالفطر في رمضان على أن يقضيا ما فاتهما منه يوماً بيوم. قال الله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ...﴾[البقرة: ١٨٥].

وقد وقع الفطر في رمضان مع النبي ﷺ ومن أمهات المؤمنين، ومن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بسبب السفر أو المرض أو ما كتب الله على بنات حواء من حيض أو نفاس.

فكيف يكون القضاء ومتى؟

هل يكون متصلاً أو متقطعًا، وهل يكون على الفور أم على التراخي. لا شك أن تعجيل القضاء أولى وأحوط، فإن الإنسان لا يدري ما يعرض له من موت أو مرض أو سفر أو عجز، ولكن تأخير القضاء جائز على من أخره غير متهاون، ما دام عازماً على القضاء.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: « كان يكون عليّ الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضي إلا في شعبان وذلك لمكان رسول الله ﷺ» [١]

تعني أنها وإياهن يمنعهن مكان رسول الله ﷺ من الصيام، خشية أن يكون له بهن رغبة فيفوتنها عليه، فكانت كل واحدة منهن مهيأة نفسها لذلك في جميع

(١) متفق عليه .

أوقاتها، إن أراد ذلك، ولم تستأذنه بالصوم فيأذن وقد يكون له بها حاجة، وهذا من كمال أدبهن وحسن معاشرتهن، وأما سبب قضائهن في شعبان فلأنه ﷺ كان يصوم معظم شعبان فلا يكون له بهن حاجة في النهار، ولأنه إذا جاء شعبان لا يبقى أمد للقضاء، ويحرم التأخير وبهذه المناسبة ينبغي التنبيه إلى أن المرأة لا يحل لها أن تصوم نافلة وزوجها حاضر ، إلا بإذنه لما يحتمل من حاجته إليها في النهار، وهذا أدب حري بالنساء عامة أن ينتبهن إليه، ويراعينه مرضاة لله، واتباعًا لسُنَّة رسوله ﷺ ، حتى حين يكون صومها قضاء من رمضان، فيستحسن أن تستأذن المرأة زوجها، لأن ذلك أدعى لمرضاة الزوج ودوام المودة.

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن في بيته إلا بإذنه**» [(١)].

وعن عمر رضي الله عنه قال : «كان رسول الله ﷺ إذا فاته شيء من رمضان قضاه في عشر ذي الحجة»[(٢)] ، وفي رواية:« كان رسول الله ﷺ لا يرى بأساً بقضاء رمضان في عشر ذي الحجة».

ذلك أن عشر ذي الحجة لها فضيلة كبرى، وإليها الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر:١،٢] . وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ: «**ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام** – يعني أيام العشر – قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : **ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم ذلك يرجع من بشي**» [(٣)].

---

(١) رواه الشيخان .

(٢) رواه الطبراني .

(٣) رواه البخاري.

٢ - حكم من أكل أو شرب ناسيا في رمضان:

إن من كمال هذا الدين، ومن كمال رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين أنه لا يؤاخذ ناسيًا ولا مخطئًا، ولا يكلف إلا بالغاً عاقلًا، وقد علمنا سبحانه كيف ندعوه مستغفرين كلما وقع منا نسيان أو خطأ فقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ، وكان ﷺ كلما قرأ هذه الآية قال : «**قال الله تعالى: قد فعلت**»... أي: استجبت.

وقد بين النبي ﷺ أنه لا ذنب على ناسٍ ولا مخطئ ولا مكره، فقال: «**إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»[(١)].

وقد عصم الله ﷻ نبيه من النسيان لأنه من الشيطان، قال الله تعالى:﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ﴾ [الكهف: ٦٣] .

ولكنه كان ينسى لبيان حكم الناسي، وهذا ما يصرح به القرآن الكريم في حقه ﷺ حيث يقول :﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ﴾ [البقرة: ١٠٦].

وقد نسي ﷺ في إحدى صلاتي العشي وهي العصر مرة فصلاها ركعتين وسلم فخرج سرعان الناس وفي القوم أبو بكر وعمر وهم يقولون : «أقصرت الصلاة . . . أقصرت الصلاة... قال ذو اليدين أقصرت الصلاة أم نسيت؟ قال: «**ما قصرت الصلاة ولا نسيت**»، ثم أقبل على أبي بكر وعمر ﷺ، فقال: «**ما يقول ذو اليدين**»، فقالا : صدق يا رسول الله فرجع رسول الله ﷺ وثاب

(١) رواه ابن ماجه عن أبي ذر الغفاري وورد في مجمع الزوائد: إسناده ضعيف لضعف أبي بكر الهذلي .

الناس وصلى بهم ركعتين ثم لم ثم سجد بهم سجدتي السهو »[1] ... ومن هذا الحديث الشريف نفهم أن رسول الله ﷺ لم ينسَ ولكنه أنسي ليسن.

وعن العباس بن مرداس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، دعا عشية عرفة لأمته بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء، فأجابه الله عز وجل: «**إني قد فعلت وغفرت لأمتك إلا من ظلم بعضهم بعضًا**»، فقال: «**يا رب إنك قادر أن تغفر للظالم وتثيب المظلوم خيرًا من مظلمته**» فلم يكن في تلك العشية إلا ذا، فلما كان من الغد ، دعا غداة المزدلفة فعاد يدعو لأمته، فلم يلبث النبي ﷺ أن تبسم، فقال بعض أصحابه: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، ضحكت في ساعة لم تكن تضحك فيها، فما أضحكك أضحك الله سنك، قال:« **تبسمت من عدو الله إبليس حين علم أن الله عز وجل قد استجاب لي في أمتي وغفر للظالم، وهو يدعو بالثبور والويل ويحثو التراب على رأسه فتبسمت مما يصنع جزعه**»[2]

ولم يقع منه ﷺ نسيان وهو صائم، ولكن وقع فيه غيره، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «**من نسي وهو صائم فإنما أطعمه الله وسقاه** »[3].

وعن أبي هريرة في مجمع الزوائد أنه قال: «**من أكل أو شرب ناسياً في رمضان فلا قضاء عليه ولا كفارة**»، وعن أبي هريرة أيضًا أن النبي ﷺ قال: «**من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه**» [4] .

وفي مجمع الزوائد عن أحمد أن أم إسحاق قالت: «كنت عند النبي ﷺ فأتى بقصعة من ثريد فأكلت معه، فناولها رسول الله ﷺ عرقًا.

(١) رواه الإمام أحمد عن شعيب بن مطير .

(٢) رواه الإمام أحمد.

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

فقال:« **يا أم إسحاق أصيبي من هذا**» فذكرت أني صائمة، فرددت يدي، لا أقدمها ولا أؤخرها، فقال النبي ﷺ: **مالك؟** قلت: كنت صائمة فنسيت ... فقال ذو اليدين: الآن بعدما شبعت؟ فقال ﷺ: «**أتمي صومك فإنما هو رزق ساقه الله إليك** ...». وقد خلص الجمهور إلى أن حكم الناسي في رمضان وغير رمضان واحد سواء كان الأكل قليلاً أو كثيرًا، وتفرد مالك فقال : يلزمه القضاء».

٣- في المضمضة والاستنشاق والاغتسال والسواك:

كان رسول الله ﷺ لا يدع المضمضة والاستنشاق لوضوئه في رمضان وغير رمضان.

عن لقيط بن صبرة رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله أخبرني عن الوضوء؟ قال: «**أسبغ الوضوء، وخلل بين الأصابع، وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا**» [١].

فهو لم ينه عن الاستنشاق ولكن حذر من المبالغة فيه للصائم خشية أن يسبق شيء من الماء إلى الحلق فيفطر.

وأما المضمضة فلا نهي عنها البتة للصائم، إلا أن المبالغة فيها مكروهة وإكثار الماء في المضمضة يخشى معه أن يسبق شيء إلى الحلق فيفسد الصوم.

وكان ﷺ يصب الماء على رأسه من الحر وهو صائم[٢]، ولم يرد شيء من النهي عن الاغتسال للصائم ولو كان للتبرد والنظافة وتقليل العطش، وأجمع العلماء على وجوب الغسل للصائم إن أصابته جنابة من الحلم، وكذلك من

(١) رواه أبو داود والترمذي .

(٢) رواه أحمد وأبو داود.

طلع عليه الفجر وهو جنب، أما من نزل في الماء بقصد السباحة أو رفع الجنابة أو للتبرد فلا حرج عليه، إلا السباحة العنيفة التي ينجم عنها دخول الماء إلى الحلق فإنها حرام تفسد الصوم.

وأما السواك فقد كان النبي ﷺ يكثر من التسوك في الفطر وفي رمضان حيث يكون صائمًا، عن ربيعة العدوي عن أبيه قال: «ما أحصى ولا أعد ما رأيت رسول الله ﷺ يتسوك وهو صائم» [١].

وقد اختلفوا في التسوك بعد العصر، اعتمادًا على الحديث عن علي وعن أبي هريرة رضي الله عنهما قال : لك السواك إلى العصر فإذا صليت فألقه، سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**» [٢].

وسأل عبد الرحمن بن غنم معاذ بن جبل قال : أتسوك وأنا صائم؟ قال : نعم. قلت: أي النهار أتسوك؟ قال : أي النهار شئت، إن شئت غدوة، وإن شئت عشية . قلت : فإن الناس يكرهونه عشية قال: ولم؟ قلت: يقولون إن رسول الله ﷺ قال : «**لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**»، قال: سبحان الله ، لقد أمرهم بالسواك حين أمرهم وهو يعلم أنه لا بد أن يكون بفم الصائم خلوف وإن استاك، وما كان بالذي يأمرهم أن ينتنوا أفواههم عمدًا.

والقول المرجح في استعمال السواك للصائم هو قول النبي ﷺ : «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة**» [٣]

ومن هذا الحديث يعلم أن استعمال السواك مشروع عند كل صلاة دون

---

(١) رواه البخاري وأبو داود.

(٢) رواه البيهقي .

(٣) متفق عليه .

استثناء، ولو كان في استعماله ضرر على الصيام بعد الزوال أو بعد العصر لبينه كما بين عدم المبالغة في الاستنشاق للصائم ...

ويؤيد هذا قول النبي ﷺ: «**السواك مطهرة للفم مرضاة للرب**»[1].

وقد كره بعضهم السواك الرطب بسبب ما يتحلل منه، وقد يصل إلى الجوف ويلحق بالسواك الرطب في الكراهية استعمال الفرشاة مع المعجون للسبب نفسه وبالله التوفيق وله الحمد والمنة.

(١) رواه النسائي وابن خزيمة.

مع النبي ﷺ في بدر

لم يكن رمضان في حياة النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم شهر صوم ونوم وأكل وشرب وسهر ولغو، ولا شهر استرخاء وتأفف وكسل وضيق وضجر، بل كان شهرًا مليئًا بالأحداث والنشاط والعمل الدؤوب في إعلاء كلمة الله ونصر دينه واكتساب رضوانه .

لقد فرض رمضان على المسلمين في شعبان من السنة الثانية للهجرة المباركة، وكانت الهجرة منعطفًا جديدًا في حياة الدعوة الجديدة، فقد أصبح لهذا الدين موطن تأمن فيه على نفسها، ورجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه مهاجرين وأنصارًا، وأصبحت المدينة المنورة مصدر الإشعاع لهذا الدين الذي تعهد الله ﷻ أن يظهره على الدين كله ولو كره الكافرون .

وأذن الله للمؤمنين بالقتال بعد أن كانوا مأمورين بكف أيديهم عنه فقال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾[الحج : ٣٩، ٤٠] .

وجاء الخبر إلى المدينة المنورة أن قافلة لقريش عائدة من الشام بقيادة أبي سفيان بن حرب زعيم مكة، في ألف بعير موقرة بالأموال الكثيرة، والتجارة الرابحة، وندب النبي ﷺ الناس لاعتراض القافلة، لعل الله أن يجعلها غنيمة في أيديهم، ولم يعزم على أحد بالخروج، فخرج ثلاثمائة وأربعة عشر رجلًا من المهاجرين والأنصار، وكان هذا العدد كافيًا لاعتراض قافلة لا يزيد رجالها على أربعين.

وخرج النبي ﷺ ومن معه من المسلمين لثمان خلون من رمضان إلى بدر ولم يكن معهم سوى سبعين بعيرًا كانوا يعتقبون، كل ثلاثة أو أربعة يعتقبون بعيرًا واحدًا .

وكان النبي ﷺ و علي بن أبي طالب، ومرثد بن أبي مرثد يعتقبون بعيراً، وأبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيراً، وهكذا سائر المسلمين [1].

وحين أراد علي ومرثد أن يمشيا ليركب الرسول ﷺ أبى ذلك، وقال: «**ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما**»، فلم يشأ أن يتميز عليهما، ولم يفوت الفرصة لبيان عظيم الأجر لمن يمشي في سبيل الله ، قال ﷺ: «**لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها**»[2]، وفي رواية خير مما تطلع عليه الشمس أو تغرب.

وقبل أن يصل المسلمون إلى بدر كان الخبر عند أبي سفيان قائد القافلة، فساحل بها البحر مبتعدًا عن بدر ونجت القافلة . . .

وأوحى الله ﷻ إلى نبيه ﷺ أنه سيظفر بإحدى الطائفتين، القافلة أو جيش قريش الذي سرعان ما استجاب لنداء أبي سفيان لإنقاذ القافلة من محمد وأصحابه: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾ [الأنفال : ٦] .

لقد تحمست قريش للقتال، فخرجت بجيش لم تخرج بمثله من قبل، بلغ عدده ألف مقاتل أو أقل قليلًا، تحادد الله ورسوله، وتتيه بعددها وعددها

(١) سيرة ابن هشام، المجلد الأول، ص ٦١٣.

(٢) رواه البخاري.

وصناديدها، وأبت أن ترجع عن الحرب بعد نجاة تجارتها حتى ترد بدرًا فتنحر الجزور وتشرب الخمر وتعزف عليها القيان حتى تسمع العرب بها فلا يزالون يهابونها .

وشاور النبي ﷺ أصحابه فقال: «**أشيروا علي أيها الناس**»، وتكلم أبو بكر رضي الله عنه فأحسن ، وتكلم عمر رضي الله عنه فأحسن، وتكلم المقداد بن عمرو رضي الله عنه فقال : «يا رسول الله أمضِ لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون . . . ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه» ، فدعا له الرسول ﷺ، وأثنى عليه خيرًا »[1].

ثم قال ﷺ : «**أشيروا علي أيها الناس**» وكان يريد الأنصار لأنهم أكثر الجيش، والعهد الذي بينه وبينهم أن يحموه في دارهم، وهم الآن خارج المدينة على بعد مائة وستين كيلاً (ثلاثين فرسخًا تقريبا)، وأدرك سيد الأنصار سعد معاذ أن النبي ﷺ يريد أن بن يسمع رأيهم . . . فقال : «والله لكأنك تريدنا يا رسول الله قال : «**أجل**» . . . قال سعد: فقد آمنا بك، وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لِما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، لعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله»[2].

(١) سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٦١٥ .

(٢) سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٦١٥ .

فسَّر رسول الله ﷺ بما قال سعد ثم قال: «**سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم**» [١].

وسأل الحباب بن المنذر بن الجموح رسول الله ﷺ عن المكان الذي كانوا فيه وكانت آبار بدر أمامهم، فقال يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلًا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال:« **بل هو الرأي والحرب والمكيدة**».

فقال : يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني حوضاً فنملأه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون.

فقال رسول الله ﷺ :« **لقد أشرت بالرأي**» وفعل مثل ما قال[٢].

وبني لرسول الله ﷺ العريش برأي سعد بن معاذ حتى إذا دارت الدائرة على المسلمين نجا رسول الله ﷺ فلحق بمن في المدينة، وكان مما قال الحباب : «يمنعك الله بهم يناصحونك، ويجاهدون معك».

وقال رسول الله ﷺ – وقد رأى قريشًا –: «**اللَّهُمَّ هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللَّهُمَّ فنصرك الذي وعدتني، اللهم احنهم الغداة**» ؛ أي اجعل الدائرة عليهم واقتل كبراءهم [٣]والحين: الموت.

يوم المعركة:

كانت وقعة بدر صبيحة الجمعة لسبع عشرة من رمضان، وبدأت الحرب

(١) سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٦١٥ .

(٢) سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٦٢٠ .

(٣) سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٦٢١ .

المبارزة، فقد خرج من المشركين عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد، ودعا عتبة المسلمين إلى المبارزة، فخرج لهم من الأنصار ثلاثة، ولكن عتبة وصاحبيه أبوا إلا أن يخرج إليهم أكفاؤهم من المهاجرين، فأخرج النبي ﷺ إليهم حمزة وعبيدة بن الحارث وعليًّا ...رضي الله عنهم فأما حمزة فلم يمهل صاحبه فقتله، وأما علي فلم يمهل الوليد فقتله، وتبادل عبيدة وعتبة ضربتين وقعا على أثرهما أرضًا وأسرع علي وحمزة فقتلا عتبة واحتملا عبيدة إلى صفوف المسلمين.

وأمر النبي ﷺ أصحابه أن ينضحوا القوم بالنبل إذا هجم المشركون ودخل عريشه بعد أن سوى الصفوف، ودخل معه أبو بكر رضي الله عنه، وأخذ يتضرع إلى الله تعالى بالدعاء ويقول: «**اللَّهُمَّ إن تهلك هذه العصابة لا تعبد**» [1].

وأبو بكر إلى جانبه يقول : يا رسول الله بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعد . . .

وأخذت النبي ﷺ سِنَةٌ من نوم، ثم انتبه فقال: «**أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع**».

وكان النبي ﷺ قد صف المسلمين للحرب كما يصفهم للصلاة، وأمرهم أن لا يبادؤوهم بقتال حتى يأمرهم، وقال: «**إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل**».

وخرج النبي ﷺ فحرض الناس على القتال، وقال: «**والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرًا محتسبًا ، مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة**»، فقال عمير بن الحمام وكان يأكل تمرات: بخٍ بخٍ، أما بيني وبين أن

(١) سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٦٢٧ .

أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟ ثم ألقى التمرات من يده وقاتل حتى قتل.

وقال عوف بن الحارث يا رسول الله، ما يضحك الرب من عبده قال «**غمسه يده في العدو حاسرًا**»، فنزع درعاً كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل.

وأخذ رسول الله ﷺ حفنة من تراب ورمى بها المشركين وقال:« **شاهت الوجوه، فلم يبق أحد من المشركين إلا أصابت عينه**»، وقد ذكر الله ﷻ ذلك في كتابه الكريم بقوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال: ١٧].

وأمر النبي ﷺ بالالتحام فقال : شدوا، والتحم الفريقان، وكانت ساعة مباركة شهدتها الملائكة وعلى رأسهم جبريل يثبتون المؤمنين ويضربون معهم ، وقتل الله المشركين شر قتلة قال الله تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال ١٠٩]، وقال جل شأنه:﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال : ١٢].

وكان رسول الله ﷺ يكثر التضرع إلى الله ويطلب نصره وعونه للمؤمنين الذين كانوا قلة ضعافًا أمام الباطل وأهله، الذين خرجوا من مكة بطرًا ورئاء الناس، ونفخ الشيطان في أنوفهم وأغراهم بالنصر والتأييد فقال لهم :﴿وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ ...﴾ [الأنفال: ٤٨] .

وقتل من صناديد قريش من قتل، وأسر من أسر، ولاذ من استطاع أن يفر منهم بالفرار.

وهكذا رجعت قريش عن بدر تجر أذيال الخيبة والهزيمة الساحقة وتتجرع مرارة الذل، وقد قتل من أشرافها وسادتها وصناديدها عشرات الرجال، ممن امتلات صدورهم بالعداوة لله ورسوله والإسلام وأهله.

وسمى الله ﷻ يوم بدر يوم الفرقان، لأنه ظهر بما لا يقبل الشك أن المشركين على باطل، وأن المسلمين على الحق المبين، وكان أبو جهل قد استفتح المعركة بالدعاء، فقال: «اللَّهُمَّ أُقطَعُنا للرحم، وآتانا بما لا يعرف فأحنه الغداة»[1]؛ أي: اخذله واقتله واجعل الدائرة عليه، وإلى ذلك تشير الآية الكريمة: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩].

ونصر الله المسلمين نصرًا مؤزرًا: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[آل عمران: ١٢٣].

واختلف المسلمون في الغنائم كيف تقسم، ولمن يكون لهم فيها الحظ الأوفى الشيوخ أم الشباب ... فأنزل الله ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

من دروس المعركة:

ومضت الآيات تلقي أعظم العبر والدروس وتستعرض خروج النبي ﷺ والمؤمنين معه إلى بدر، وما جرى قبل المعركة وخلالها

(١) سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٦٢٨ .

وبعدها حتى إذا استوعب المسلمون تلك الدروس والعبر، وتلقوا وحي الله بآذان مرهفة ، وقلوب خاشعة، فازدادت نفوسهم إيمانًا، وقلوبهم من الله حياء وشكرًا، وأحاطت آيات الله بكل صغيرة وكبيرة من أحداث المعركة، لتكون دروسًا وعبرًا للمسلمين إلى يوم القيامة، بعد هذا كله جاء جواب ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ...﴾ [الأنفال: ١] بقوله تعالى :﴿* وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[الأنفال : ٤١] .

وهكذا كانت بدر أول معركة بين الإسلام وأهله، وبين الكفر وأهله، وظلت بدر بدروسها وعبرها أبرز معركة في تاريخ الإسلام، وكلمة الفصل من الله إلى عباده وإلى الناس جميعًا، أن النصر من عند الله يناله المتقون الذين ينصرون الله ورسوله:﴿ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [النساء : ٧٤]، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢]، لا يعولون في تحقيق النصر على عدد ولا سلاح ، ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[آل عمران: ١٢٦]، ولا يغفلون الإعداد والاستعداد بقوة السلاح : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ ﴾[الأنفال: ٦٠] .

وهم يقاتلون إعلاءً لكلمة الله، وابتغاء مرضاته، دون أي غرض آخر، لذلك كان شعار المسلمين في بدر: أحد أحد، بينما كان هم قريش أن ترد بدرًا فتنحر الجزور وتشرب الخمر وتعزف عليها القيان حتى تسمع بها العرب فلا يزالون يهابونها، ولذلك كان أبو بكر الصديق ﷺ حريصًا على

قتل ابنه عبد الرحمن الذي كان في صفوف المشركين يومذاك، لو ظفر به، ولذلك قال عمر بن الخطاب لسعيد بن العاص وكان أبوه قد قتل مشركًا ... «أراك تظن أني قتلت أباك، إني لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله، ولكن قتلت خالي العاص بن هشام ابن المغيرة، فأما أبوك فإني مررت به وهو يبحث بحث الثور فحدت عنه وقصد له ابن عمه علي فقتله».

لم يقاتلوا دفاعًا عن أرض، ولا حمية لقبيلة، ولا حفاظًا على ملك، ولا حرصًا على غنيمة، ولا طلبًا لحكومة، ولا إبقاء على زعامة، بل كان قتالهم خالصاً لله وفي سبيل الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[النساء: ٧٦].

ولم يقاتلوا معتمدين على أنفسهم وأسلحتهم، بل كانت قلوبهم موصولة بالله تستنصره وتستغيثه، فالرسول في عريشه يناشد ربه النصر، والمقاتلون معه يفعلون فعله: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

ولم يقاتلوا فوضى بلا نظام، ولا ارتجالًا بلا تخطيط رغم المفاجأة بالحرب ونجاة القافلة السهلة غير ذات الشوكة، بل كانت المشاورة: «**أشيروا عليّ أيها الناس** ...؟» وكان تغيير المكان الذي تدور فيه المعركة، ومنع المشركين من الماء بعد أن غورت الآبار وبني الحوض خلف المسلمين ثم انتظار الإذن بالقتال بعد أن رصت الصفوف وعبأت بالحماس القلوب ...

ولم يقاتلوا مرغمين بأمر عسكري لا رأي لهم فيه، بل قاتلوا عن رضى واقتناع (فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك) . .

وثقة كاملة بالقيادة الموصلة بالله، وأن الله قد وعدهم إحدى الطائفتين

أنها لهم، وأنه ناصرهم بنصر من عنده : ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال : ١٠].

وانتهت المعركة بالنصر المؤزر للمسلمين، والهزيمة المنكرة للمشركين الذين قتل كثير من زعمائهم وسادتهم، وجمعت جثثهم فألقيت في القليب ووقف النبي ﷺ، فخاطبهم، فقال : «**يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا أمية بن خلف، ويا أبا جهل بن هشام، وعدد من في القليب... هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا، فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًا**»، فقال المسلمون يا رسول الله : أتنادي قوما قد جيفوا[١] قال: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني**»[٢]، وفي هذا تعليم وكشف عن حالة الميت عند نزول القبر، وما يتعرض له من السؤال، ورؤية مقعده من الجنة أو مقعده من النار كما ورد في الأحاديث الصحيحة.

ثم قال مخاطبًا أهل القليب، مشيدًا بفضل الأنصار، مثنيًا عليهم بما هم له أهل، من سبقهم للإسلام، ونصرهم لله ورسوله :« **بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس**»[٣]، وقد أراد بـ (الناس) الأنصار رضي الله عنهم .

وأما الأسرى فقد كان للنبي ﷺ معهم شأن يدعو إلى العجب والإعجاب، وزعهم بين أصحابه وقال :«**استوصوا بالأسارى خيرًا**».

وكان أبو عزيز في الأسرى بيد رجل من الأنصار أسره، فرآه أخوه

---

(١) أصبحوا جثثًا هامدة.

(٢) سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٦٣٩.

(٣) سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٦٣٩ .

مصعب فقال لآسره: شد يديك به، فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك، يقول أبو عزيز: فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز، وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ، قال: حتى أستحي من حسن صنيعهم[1].

وهذا ما لم ترَ الدنيا له مثيلًا في تاريخها كله من معاملة الأسرى بالرأفة والرحمة، قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨-٩]، فأين منها اليوم معاملات الأسرى في عصر الأمم المتحدة، ولجنة حقوق الإنسان، وما لها من كلام معسول لم يرَ طريقه إلى التطبيق في يوم من الأيام خلال خمس وأربعين سنة من عمر الأمم المتحدة !!!

ثم لا يستحيون ويصرون على وصف الإسلام والمسلمين بالرجعية والهمجية، ويصدقهم المهزومون وضعفاء النفوس، وفئة من المرجفين والمنافقين المحسوبين على الإسلام.

وقبل الرسول ﷺ من بعض الأسرى الذين يقرؤون أن يعلِّم كل واحد منهم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة ليطلق سراحهم .

وفي هذا تعليم للأمة وبيان لأهمية تعليم أبنائها وما له من أثر في مستقبلها ورقيِّها، ودعوة للقضاء على الأمية التي بدأت تسير إلى نهايتها منذ أن نزلت على النبي الأمي ﷺ الآيات الأولى من سورة العلق :﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق : ١] فتأمل كيف كانت بداية القضاء على الأمية على يد النبي الأمي صلوات الله وسلامه عليه.

(١) سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٦٤٥ .

صلح الحديبية :

خرج المسلمون من بدر بنصر عزيز، ودروس عظيمة تنطوي عليها سورة الأنفال التي نزلت في تلك الغزوة، فارتفعت معنوياتهم، وازدادوا إيمانًا إلى إيمانهم وثقة بنصر ربهم، وطاعة لله ورسوله، وتطلع المسلمون ممن لم يشهدوا بدرًا إلى مثل بدر ليُروا الله من أنفسهم خيراً .

وسار ركب الدعوة بقيادة النبي ﷺ من سرية إلى سرية، ومن غزوة إلى غزوة، ومن نصر إلى نصر، وازدادت قريش إمعاناً في عنادها وكيدها للإسلام والمسلمين، وخاضت ضده بدرًا وأُحدًا والخندق، فخيب الله آمالها، ودب اليأس في قلوب زعمائها، فمكثت تتربص بالمسلمين الدوائر، وتنتظر عاقبة أمرها في توجس وخيفة، وقد أيقنت أن الوقت لم يعد يمشي في صالحها، وما زال المسلمون يقطعون خلال سنوات سبع، أشواطاً بعيدة في طريق بناء مجد الإسلام، ويقدمون المزيد من التضحيات والشهداء إعلاء لكلمة الله.

وانتقص الإسلام أطراف الشرك يوماً بعد يوم، ودخل في الإسلام كثير من الناس أفرادًا وجماعات وقبائل، جماعة إثر جماعة، وقبيلة بعد أخرى، ويرى النبي ﷺ رؤيا مفرحة، يرى أنه دخل مكة مكة مع أصحابه معتمرًا، فيستبشر ويدعو المسلمين إلى العمرة ولكن قريشاً أبت إلا أن تصد عن سبيل الله والمسجد الحرام، ومنعت المسلمين من أداء العمرة، حمية واستكبارًا .

وقامت بين المسلمين وقريش مفاوضات، أبرم على أثرها صلح الحديبية على أن يرجع المسلمون عن مكة عامهم ذاك، وأن يعتمروا من العام الآتي، وأدى المسلمون في العام السابع للهجرة عمرة القضاء في ذي القعدة.

الكفار ينقضون الصلح:

ودخلت بكر في حلف قريش، ودخلت خزاعة في حلف النبي ﷺ، ووقع بين بكر وخزاعة قتال، وأعانت قريش أحلافها من بكر على خزاعة مستخفية بالليل حتى دخلوا الحرم، وجاء عمرو بن سالم يستنصر رسول الله ﷺ لخزاعة، وتبعه وفد من خزاعة فيهم بديل بن ورقاء، فأخبروا النبي ﷺ بمظاهرة قريش لبكر في بغيها، ونقضها عهدها الذي أبرمته فى الحديبية بهذا العمل، وأدرك أبو سفيان سوء ما صنعت قريش بعهد الحديبية فطار إلى المدينة يريد أن يثبت العهد، ويوثق العقد، فخذله أبو بكر وأبى أن يشفع له عند النبي ﷺ، وكذلك فعل عمر، وخذلته ابنته أم المؤمنين حبيبة، ومنعته أن يجلس على فراش النبي ﷺ، لشركه وعداوته لله ورسوله، وعاد يجر أذيال الخيبة إلى مكة، ويتجرع مرارة الإخفاق، ويتوجس سوء العاقبة لقريش وأصنامها العزيزة على قلوبها ... وعزم النبي ﷺ على فتح مكة، وأمر الناس أن يتجهزوا ولم يحدد لهم وجهته، وكتم الخبر عن قريش ما استطاع، ودعا الله أن يعمي تحرك المسلمين عن قريش، وكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش بخبر المسلمين، ونزل الوحي على رسول الله ﷺ بما صنع حاطب فأرسل عليًّا والزبير وانتزعا الكتاب من المرأة التي حملته إلى قريش، واستأذن عمر رسول الله ﷺ في ضرب عنق حاطب، ولكن الرسول ﷺ عذر حاطبًا وعفا عنه وقال له إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدرًا فقال:«**اعملوا ما**

شئتم فإني قد غفرت لكم»[1]، وأنزل الله ﷻ في شأنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١].

الرسول يتوجه بجيشه إلى مكة:

وسار النبي ﷺ في عشرة آلاف مقاتل في رمضان من السنة الثامنة للهجرة بعد أن أعلمهم بوجهته، واستشعرت قريش في مكة سوء العاقبة فخرج أبو سفيان يتحسس الأخبار، وسار العباس بأهله إلى المدينة وكان مقيمًا في مكة على سقاية الحجاج ورسول الله ﷺ عنه راضٍ، ورأى العباس جيش الحق فقال: واصباح قريش، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر[2].

وأراد العباس أن يسدي إلى مكة معروفًا فيوصل إليها الخبر، فجلس على الطريق إلى مكة يتلمس رجلًا يحمل عنه الخبر إلى أهلها بمكان رسول الله ﷺ ليخرجوا إليه فيستأمنوه.

وسمع العباس أبا سفيان وبديل بن ورقاء يتحادثان ومعهما حكيم بن حزام يتحسسون الأخبار، فقد أخفى الله عنهم خبر الجيش بدعوة رسول الله ﷺ، وسمع العباس أبا سفيان يقول لبديل بن ورقاء: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرًا، فقال العباس: يا أبا حنظلة. فقال أبو سفيان: أبو الفضل ؟ قال العباس : نعم . قال : ما لك؟ قال : ويحك هذا رسول الله في الناس، واصباح

(١) سيرة ابن هشام، ج١، ص٣٩٩.

(٢) سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٤٠٢ .

قريش قال: فما الحيلة؟ قال : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله فاستأمنه لك، ورأى عمر أبا سفيان خلف العباس فأسرع إلى النبي ﷺ يستأذن بقتله، ولكن النبي ﷺ منعه، وأمر عمه أن يأتيه بأبي سفيان في الصباح، وأسلم أبو سفيان صباحًا، فأمره رسول الله ﷺ أن يخبر قريشًا : «**أن من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل بيته فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن**»[١].

الرسول يرهب أبا سفيان باستعراض جيشه :

وأمر النبي ﷺ عمه العباس أن يقف بأبي سفيان في مر الظهران على مشارف مكة لتمر به كتائب المسلمين ،فيراها ومرت القبائل على راياتها حتى مر رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء، وفيها المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، فقال أبو سفيان للعباس : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيمًا ، فقال العباس : إنها النبوة يا أبا سفيان قال : فنعم إذن، قال: قلت الجأ إلى قومك: حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن... قالوا قاتلك الله[٢]، وما تغني عنا دارك، قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن... ومن دخل المسجد فهو آمن. فتفرق الناس إلى دورهم والمسجد[٣].

---

(١) سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٤٠٣ .

(٢) قالوا ذلك تعبيرًا عن كفرهم بزعامته، واستهانة به .

(٣) سيرة ابن هشام، ج٢، ص ٤٠٤، ٤٠٥.

دخول الرسول وجيشه مكة من كل جانب:

وقسم النبي ﷺ الجيش أقسامًا ، وأمر خالدًا أن يدخل في قسم من الجيش من أسفل مكة، وجعل الزبير بن العوام يدخل من كدي، وجعل سعد بن عبادة يدخل مكة بقسم من الجيش من كداء، وسمع سعد يقول : اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، فأخبر عمر النبي ﷺ فأمر عليًّا أن يأخذ الراية منه[1] ، وسار أبو عبيدة بين يدي النبي فدخل من أعلى مكة من الحجون.

وأمر النبي قواد الألوية أن لا يقاتلوا إلا من بدأهم بقتال، واستثنى رجالًا طالما أوغلوا في الكيد للإسلام، وإيذاء المسلمين، ودخل النبي ﷺ مكة من الحجون على راحلته، وأردف أسامة بن زيد، ومعه بلال وعثمان بن طلحة العبدري من حجبة الكعبة، وإنه ليضع رأسه تواضعاً لله على ما أكرمه به من الفتح العظيم، حتى أن عثنونه[2] يكاد يمس واسطة الرحل، وصعد كثير من أهل مكة جبل أبي قبيس ينظرون كتائب الإسلام، وقد امتلأت بها ثنايا ذي طوى، حتى دخل المسجد وكانت حول الكعبة أصنام مثبتة بالرصاص، فجعل يشير إليها أو يطعنها بعصا كانت في يده ويقول :﴿...وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] .

فما أشار إلى واحد من تلك الأصنام من وجهه إلا وقع لقفاه، وما أشار لصنم من قفاه إلا وقع لوجهه، حتى لم يبقَ صنم إلا وقع [3].

وطاف سبعة أشواط، ثم دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة

---

(١) سيرة ابن هشام، ج ٢، ص ٤٠٧ .

(٢) العثنون: شعر آخر اللحية مما يلي الحلق.

(٣) سيرة ابن هشام، ج٢، ص ٤١٧ .

ففتحها له فدخلها ومعه بلال وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة، وكان في جوف الكعبة صور الآلهة فكسرها وأخرجها، ورأى صورة لإبراهيم عليه السلام في يده الأزلام يستقسم بها، فقال: «**قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام، ما شأن إبراهيم والأزلام**»، وتلا قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]... ثم صلى ركعتين في جوف الكعبة ثم خرج[١].

خطبة الفتح:

واجتمع له الناس في المسجد فخطب خطبته المشهورة وفيها قال: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا، ففيه الدية مغلظة، مئة من الإبل أربعون منها في بطونها أولادها، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظمها بالآباء، والناس من آدم و آدم من تراب**» ثم تلا هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

ثم قال: «**يا معشر قريش... ما ترون إني فاعل بكم**»، قالوا: خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»[٢].

عبر ودروس في فتح مكة (شهر رمضان):

١ - لقد قدر الله عز وجل لهذا الفتح العظيم أن يتحقق للمسلمين في شهر

(١) سيرة ابن هشام، ج٢، ص ٤١٣.

(٢) سيرة ابن هشام، ج٢، ص ٤١٢.

رمضان، وأن يصل بين هذا النصر العظيم، وانتصار بدر الذي كان في رمضان أيضًا، كما قدر سبحانه أن يكون أول نزول وحيه على نبيه الأمين ﷺ في رمضان، وذلك ليدل الأمة على ما لهذا الشهر من فضائل لا تعد ولا تحصى، فهو الشهر الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وهو الشهر الذي تتضاعف فيه قوة الأمة، ويزداد فيه إيمانها .

وهكذا نرى أن شهر رمضان شهر صبر وجهاد وحركة وعمل، وليس شهر بطالة وخمول وكسل، إنه شهر تزداد فيه الأمة صلة بربها عن طريق هذا القرآن الذي هو روحها المحرمة، وقيادتها الموجهة، وعقيدتها الراسخة الواضحة، وصراطها المستقيم، تنصبغ به أخلاقها وأعمالها، فإذا هي الأمة التي تحمل رسالة الإسلام إلى أهل الأرض لتخلصهم من عبادة الأصنام والطواغيت والشهوات وتحولهم إلى حياة العبودية لله، فإذا هم جند الله وحزبه المجاهدون في سبيله، والقائمون بإقرار منهجه في الأرض، والشهداء على البشرية يرشدونها إلى الحق والخير والفلاح.

لقد تم هذا الفتح بعد رحلة طويلة من الجهد والجهاد، والصبر والمثابرة، تحمَّل فيها المسلمون الأوائل أعباء ثقيلة، وقدَّموا خلالها تضحيات عظيمة، ليكون ذلك درسًا دائماً ماثلًا أمام أنظار المسلمين، فقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام أسوة حسنة لأجيال هذه الأمة على امتداد الزمان، لتسلك مسلكهم، وتنهج نهجهم، وتجاهد جهادهم، وهم خير هذه الأمة بشهادة الله ﷻ حيث قال :﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ....﴾ [آل عمران: ١١٠].

ولقد أثنى عليهم ربهم بقوله تعالى:﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا

ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾[الأحزاب: ٢٣].

لقد ضربوا المثل الأعلى في التضحية والجهاد والصدق مع الله ﷻ، لنتعلم أن النصر لا يتحقق على أعداء المسلمين إلا باتباع سبيل الله التي سار عليها الرسول ﷺ وأصحابه معه: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

إنها سبيل التجرد الكامل لله ولرسوله حتى لا يبقى في قلب المؤمن مكان يحب فيه غير الله ورسوله وجماعة المؤمنين، فمن مال بقلبه إلى أعداء الله بحب أو مودة فقد خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾[المائدة: ٥٥، ٥٦].

وقد تحملوا كل هذه التضحيات لنتعلم أن طريق النصر هو طريق صبر وعمل وتضحية وتحمل للصعاب، وصبر على الأذى ففيه امتحان كبير قاس، قال الله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

٢- لقد تم فتح مكة في رمضان في السنة الثامنة للهجرة، وهي السنة الحادية والعشرون في حياة البعثة المباركة الميمونة، وبذلك ندرك أن الهجرة لم تكن فرارًا أو هزيمة، بل كانت خطوة هامة على طريق نشر الإسلام وانتصاره على مناوئيه، وأن هذه الهجرة كانت انتصارًا كبيرًا، بل أول انتصار على قريش وأصنامها وطواغيتها، ولذلك عد القرآن الهجرة نصرًا فقال ﷻ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ

هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾[التوبة: ٤٠، ٤١].

فقد كانت الهجرة انطلاقًا للدعوة الإسلامية من بلد كثُر فيه البغي، إلى رحاب واسعة رحبت بها وآمنت، لتنطلق منها إلى آفاق الدنيا لنشر هذا الدين الحنيف، ولقد أخرج الرسول ﷺ مستخفيًا مهددًا بالقتل، وبذلت قريش كل ما تستطيع من حيلة وجهد لتظفر به فتقتله، ووضعت مائة ناقة جائزة لمن يأتي به حيًا أو ميتاً، فأذهب الله كيدها، وها هو ذا يعود إلى مكة بجيش قوامه عشرة آلاف مقاتل، يأتمر بأمره، وينتظر إشارة منه ليبدأ الزحف على مكة، وهذا أبو سفيان زعيم مكة ينادي بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل داره فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد قائلين لأبي سفيان: وما تغني دارك، ووقفت قريش عاجزة كليلة عن المقاومة، ووقفت في المسجد تنظر ماذا يكون حكم رسول الله ﷺ في شأنها، فإذا به يخاطبها بقوله: «**يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟**» قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم . قال : «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»[1].

٣ – لقد كان ﷺ قادرًا أن يضع السيف في رقاب رجالها حتى تسيل الدماء أنهارًا، فقد آذوه وأخرجوه وقاتلوه وحرصوا على قتله والقضاء على دعوته، ولم يدخروا وسعًا في محاربته على مدى إحدى وعشرين سنة، ولكن

(١) سيرة ابن هشام، ج٢، ص ٤١٢.

جهودهم باءت بالإحباط والفشل، وها هم يقفون لاستماع حكمه عليهم معترفين له بالفضل والكرم والعفو قائلين : أخ كريم، وابن أخ كريم.

وإذا به يفاجئهم بما لا يتوقعون: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**».

إنه الخلق العظيم لرسول الله ﷺ ، والعفو مع المقدرة، فها هو في عشرة آلاف من المقاتلين لا تنازعهم أنفسهم لشيء من الحقد أو الثأر أو الانتصار للنفس، بل لا يتقدمون بين يدي الله ورسوله بشيء، فالحكم لله، ثم لرسوله، وما المؤمنون إلا سامعون ومطيعون، إنها أخلاق المسلمين الذين تربوا في ظلال القرآن، وطهرت الصلاة والصيام أنفسهم من كل حقد أو غل أو استعلاء أو هوى. ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠] .

٤ - وفي رمضان الذي تم فيه هذا الفتح العظيم قضي على كل مظهر من مظاهر الشرك والوثنية إلى الأبد، ويئس الشيطان أن يعبد بعدها في جزيرة العرب، فقد تهاوت الأصنام وتكسرت الأوثان، وانتهت أسطورة اللات والعزى ومناة، وأخرجت الصور والأزلام والأصنام من الكعبة، وعاد للبيت الحرام طهره وصفاؤه كما كان يوم بناه إبراهيم عليه السلام ودعا ربه بقوله:﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾[إبراهيم: ٣٥].

لقد كانت تلك الأصنام قائمة حول الكعبة قبل أن يبعث رسول الله ﷺ إلى الناس، وبعد بعثته، وكان يصلي في الكعبة ويسجد لله وهي قريبة منه فلم يكسرها في لحظة غضب أو ردًا على أذى، لأنه كان يعلم أن الوقت لم يحن بعد لتكسيرها، وأن الطريق ما تزال طويلة أمامه حتى يأتي نصر الله والفتح، وأنه لو كسرها في ذلك الوقت فلن تسكت قريش على ذلك، وستقف معها

قبائل العرب في الجزيرة كلها، وليس في استطاعته ومن معه من المستضعفين أن يقاومهم، فليؤجل ذلك حتى يأتي نصر الله والفتح، فإنه لكل أجل كتاب ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾[النحل: ١٢٧].

ومن دروس هذا الفتح المبين أن النبي ﷺ أعلن انتهاء الجاهلية بحميتها وثاراتها وذحولها وتعظمها بالآباء والأجداد، وأن الناس كلهم لآدم وآدم من تراب، وأن ليس لعربي فضل على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح، وأنهم متساوون في الحقوق والواجبات، وأن كل دماء الجاهلية موضوعة، فلا ثأر ولا ادعاء بمأثرة أو فضل، إلا سدانة البيت، وسقاية الحاج، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[الحجرات: ١٣].

وقد استطاع رسول الله ﷺ أن يقرر هذه الحقائق بالكلمة الوجيزة، والتطبيق العملي، والبشرية اليوم تقف عاجزة عن تطبيق هذه المبادئ السامية رغم شعورها بالحاجة الماسة إلى هذه المبادئ، ورغم كل ما في الدساتير والمواثيق الدولية من كلام منمق، ومواد براقة، ورغم أنها تعيش في عصر الأمم المتحدة، وميثاق حقوق الإنسان الذي أثبتت الأيام أنه ليس إلا حبرًا على ورق، وتآمرًا على الشعوب الضعيفة، إن في ذلك لموعظة للمسلمين والناس أجمعين حتى يعودوا إلى دينهم حقاً وعملاً.

وفي تلبية النبي ﷺ لاستغاثة عمرو بن سالم الخزاعي ومسارعته لنداء بديل بن ورقاء والوفد الذي كان معه، وكان ذلك في شهر رمضان، وفي أمره الناس بالتجهز للحرب في رمضان دون أن يؤخر ذلك إلى ما بعده لدليل قاطع على أن الصيام لا يقف حجر عثرة دون تحقيق الأهداف الكبيرة والقيام بالأعمال

الصعبة، ورد دامغ على الذين يزعمون ذلك من المهزومين والمشككين، بل إن الصيام على العكس مما يزعمون يجعل الصائم أسرع استجابة لله ، وأشد حرصًا على مرضاته، وأقدر على تحمل الصعاب، والصبر على الشدائد، لأنه المدرسة التي تفعل ذلك، وقد وصف النبي ﷺ الصوم بأنه نصف الصبر، والسلاح الأول للمجاهدين بعد الإيمان بالله وتقواه للمجاهدين هو الصبر. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] مع هذا التذكير بأن الله ﷻ قد رخص للمريض المسافر بالفطر في رمضان، كما أن الرسول ﷺ عندما سار بالجيش لعشر خلون من رمضان خرج صائمًا وصام الناس معه، ومنهم من أخذ بالرخصة فأفطر، فلما اقترب المسلمون من مكة استحب لهم النبي ﷺ الإفطار لقربهم من العدو، فلما أوشكت الحرب أن تبدأ أمرهم كما سبق أن أوردنا في حكم السفر للصائم، وكان في مراحل سفره ذلك التشريع العملي والدرس التطبيقي الذي لم يكن مجرد أبحاث نظرية، وافتراضات احتمالية قد تقع وقد لا تقع.

ومن هذه الحقيقة فإن الدارس للتاريخ الإسلامي يلحظ بوضوح أن أكثر المعارك الفاصلة والانتصارات الحاسمة كانت تقع في رمضان المبارك، وكان المسلمون يقصدون إلى ذلك في كثير من الأحيان، لعلمهم بفضل رمضان، وقرب الصائمين من الله، واستجابة الدعاء للصائمين، فتكون دعوات المسلمين للمجاهدين أحد الأسلحة التي يحارب بها المسلمون أعداءهم المقطوعين عن الله المحادين له، المحاربين لأوليائه، فأعظم به من سلاح وأكرم برمضان من شهر شهد أعظم الانتصارات.

وفي دعاء النبي ﷺ ربه حين قال بعد أن عزم على فتح مكة: «**اللَّهُمَّ خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها**»[1]، وفي نزول الوحي

(١) سيرة ابن هشام، ج٢، ص٣٩٧.

بشأن حاطب بن أبي بلتعة الذي أرسل لقريش يعلمها فيها بالخبر، وإرسال علي والزبير لأخذ الرسالة من المرأة التي حملتها، وفي عدم تحديد الجهة التي سيتوجه إليها المسلمون، وإخفاء ذلك عن أقرب الناس إليه من أصحابه وأزواجه، حتى إن أبا بكر سأل ابنته عائشة عن الجهة التي يريد أن يتوجه إليها، فقالت: لا والله لا أدري، وفي تأخيره الإخبار بوجهته إلى آخر لحظة دليل على ما لإخفاء الأسرار العسكرية عن العدو بقدر المستطاع من أهمية، حتى يكون للمفاجأة أثرها في إرباك العدو وإضعاف مقاومته، والإسقاط في يده حتى يدعه عاجزاً عن مواجهته المواجهة المؤثرة الفعالة.

وقد حرص النبي ﷺ و رغم استعداده الكامل، أن يتحقق له هذا الفتح العظيم سلماً دون حرب أو سفك للدماء، فعرض على أبي سفيان كتائب المسلمين على راياتها وأسلحتها حتى أدخل الرعب في قلبه، وقال للعباس وهو يستعرض الجيش يمر أمامه: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة، : والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً، فقال له العباس : يا أبا سفيان إنها النبوة، قال: نعم إذن.

وأمر رسول ﷺ قادة الألوية أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم، فلما سُمِعَ سعد يقول : اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، وبلغ قولُه رسول الله ﷺ عزله من القيادة، كل ذلك تعظيمًا لحرمة مكة التي حرمها الله يوم خلق السماوات والأرض، وحرمها إبراهيم يوم بنى الكعبة، رغم أن ساعة دخول المسلمين مكة كانت ساعة أحل الله فيها لرسوله القتال، وهي لم تحل لأحد قبله ولا تحل لأحد بعده، ولم تحل إلا له صلوات الله وسلامه عليه ساعة من نهار.

ومع هذا فقد كان حريصًا على أن لا يُسفكَ دمٌ ولا تستحل حرمة، إلا أشخاصًا سماهم بأسمائهم، لعلمه ﷺ أنهم لا يصلحون لشيء من هذا الخير، ولشدة عداوتهم للإسلام وأهله، وهذا الاستثناء لا يخرق حرصه على حرمة مكة المكرمة، وشفقته على قريش التي أصبحت منذ ذلك اليوم مسلمة، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وأصبح أولئك الرجال وتلك الدماء فيما بعد رجال الحرب للإسلام، ودماء الشهادة في سبيل الله، في حنين والطائف، وفي حروب الردة وفي القادسية واليرموك، وفي فتح بلاد فارس وما وراء النهر، وفي الصائفة التي فتحت كثيراً من بلاد الروم والخزر والقوقاز.

وفي دخول النبي ﷺ مكة على ناقته متواضعًا خافضاً هامته كأنه ساجد، حتى إن عثنونه يكاد يمس الركب من شدة التواضع والشكر لله على هذه المنة العظيمة، والنصر الكبير، بعد طول الصبر والجهاد، كل ذلك تجسيد لأخلاقه الكريمة وشدة قربه من الله، وإحساسه بفضله وتوفيقه، فهو الذي هيأ لهذا النصر بالمؤمنين الصادقين من المهاجرين والأنصار، وهو الذي طهر تلك القلوب وزكاها وألهمها تقواها، وهيأها لحمل رسالته إلى الناس من بعده، ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، وهو سبحانه الذي وعد بهذا النصر وهيأ أسبابه، وهي نعمة من الله أنعمها على المؤمنين، وإنما تقابل النعمة من المؤمنين بالشكر، ورسول الله ﷺ أول المؤمنين، وسيد المتقين وإمام الشاكرين، وشكر الله مقرون بالتواضع، وقد أُمِرَ ﷺ بالشكر والتواضع: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٥-٢١٦]، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]. كما

أمر بالتسبيح والاستغفار: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ١ - ٣].

هذه بعض أخلاقه ﷺ وأخلاق المؤمنين السائرين على طريقه إلى آخر الزمان والتي يجب أن تكون قدوة لنا جميعًا ونبراسًا يضيء الطريق ومنهجًا وأسلوب حياة.

والله الهادي إلى سواء السبيل...

الرسول ﷺ في وداع رمضان

عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ إذا دخل رجب قال : «**اللَّهُمَّ بارك لنا في رجب وشعبان وبَلِّغنا في رمضان، وكان يقول ليلة الجمعة ليلة عرّاء... ويومها أزهر**»[1].

وإذا أهل رمضان يقول :« **يا أيها الناس: أتاكم رمضان شهر مبارك، شهر فيه ليلة هي خير من ألف شهر** ... »[2].

وكان السلف الصالح إذا انقضى رمضان يدعون ربهم ستة أشهر أن يتقبل منهم رمضان، ثم يدعونه في الأشهر الباقية أن يبلغهم رمضان.

وذلك لما يؤملونه في هذا الشهر من فضل الله ورحمته، ولذة القرب منه، وحلاوة العبادات، وجميل المناجاة، والاجتهاد في الصالحات.

فإذا كانت الأيام الأخيرة من هذا الشهر العظيم، فإنه جدير بك أيها المسلم أن تشكر الله ﷻ على هذه النعمة التي أتاحها لك، نعمة الصيام والقيام وتلاوة القرآن، وكثرة الذكر، والبعد عن الفحش، وصوم جوارحك عن كل فحش في القول والعمل، من الغيبة والنميمة والسب والشتم واللغو والظلم والغش، وسائر الأعمال القبيحة، وقد كان الصيام سلاحك الماضي في القدرة على تركها، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى في سياق الصيام:﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ

(١) رواه الإمام أحمد .

(٢) رواه النسائي.

عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وإنها لنعمة كبيرة لا يعرف قدرها إلا من هداهم الله من عباده، فجعلهم على نور منه وهدى وبينات، وجعل لهم نوراً يمشون به في الناس: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الرعد: ١٩]، لقد هيأ الله لهم هذا القرآن يتلونه حق تلاوته، ويسعون ما استطاعوا في تعلم آياته والعمل به، فيزدادون من الله قُرباً وإيماناً وتسابقاً إلى كل عمل صالح، وهذا من فضل الله وتوفيقه لك أيها المسلم الكريم، أن جعلك من المسلمين ومن أمة خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام، ولم يجعلك يهوديًّا أو نصرانيًّا ولا مجوسيًّا ولا من الملحدين، وفي الأرض عشرات الملايين ومئات الملايين من هؤلاء وهؤلاء وأولئك من الملل الضالة والعقائد الفاسدة.

وإنه لحري بنا عندما نكون في مقام المودع لرمضان أن نسأل الله تعالى المزيد من فضله ورحمته وتوفيقه، وأن يثبتنا على الحق حتى نلقاه على ذلك وهو راضٍ، وأن نسأله قبول صيامنا وقيامنا وتلاوتنا وذكرنا ابتغاء وجه ربنا، ولا بد أن تسأل النفس كيف أصبحت بعد هذا الصيام، هل صرت مسلمًا حقًا كما يحب ربك لا تنازعك نفسك إلى شيء من الرفث والفسوق والعصيان، وهل صار حب الله ورسوله وكتابه أحب إليك من نفسك وأهلك ومالك والناس أجمعين؟ فإن كنت كذلك فأبشر وأمل خيرًا، وإن كنت ترى نفسك مقصرًا لم يغيرها صوم ولم تنفعها عبادة، وأنها ما زالت تميل بك إلى الأهواء والشهوات فاسأل الله أن يشافيك من ذلك، واعلم أن تلاوة القرآن وذكر الله، سبيلك إلى الشفاء مما أنت فيه. قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨] ،واحذر أن تكون من الظالمين لأحد من عباد الله، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، وكل ظلم إنما هو ظلم لنفسك، وكل مظلوم منك، فظلمه مردود عليك، فاحذر أن تكون من الظالمين لأنفسهم العاكفين على المعصية، والمصرِّين على الذنوب، فإن أولئك ليس لهم من صيامهم إلا الجوع والعطش، وليس لهم من قيامهم إلا التعب والسهر .

واحذر يا أخي المسلم أن ينقضي هذا الشهر المبارك ولم يغفر لك، فقد صعد رسول الله ﷺ المنبر يومًا فقال: «**آمين، آمين، آمين**»، فلما سُئل عن ذلك قال : «**أتاني جبريل وقال لي: يا محمد، من أدرك أبويه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة باعده الله ، قل: آمين فقلت : آمين، ثم قال: يا محمد من أدرك رمضان ولم يغفر له باعده الله ، قل: آمين فقلت :آمين ثم قال: يا محمد من ذكرت عنده ولم يصلِ عليك باعده الله ، قل: آمين فقلت: آمين**».

واعلم أيها الأخ أن لله تعالى في هذا الشهر كل ليلة عتقاء من النار« **عند كل فطر من شهر رمضان كل ليلة عتقاء من النار ستون ألفاً، فإذا كان يوم الفطر أعتق الله مثل ما أعتق في جميع الشهر ثلاثين مرة ستين الفاً ستين الفاً**»[1].

فاسأل الله تعالى أن تكون منهم، فإن النار لا يفك أسيرها، ولا يحتمل سعيرها، قال تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾[الفرقان: ٦٥] .

ثم اسأل الله تعالى أن يمد في أجلك فتبلغ رمضان آخر، يرزقك الله صيامه وقيامه، فما أكثر الذين يدركون رمضان هذا، ولا يدركون رمضان الذي

(١) رواه البيهقي وهو حديث حسن.

هو آت، ومن يدري من منا يكون منهم؟

والله ﷻ يحب التوابين والمستغفرين، فتب إلى الله توبة نصوحًا واستغفره إنه كان غفوراً رحيماً، وإن باب التوبة مفتوح لا يغلق أبدًا حتى تطلع الشمس من مغربها، وإن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، ومن عظيم رحمته أنه يقبل توبة العبد ما لم يغرغر، وقد ثبت في الحديث الصحيح أنه سبحانه قبل توبة رجل قتل مائة نفس، ثم سأل هل له توبة فقيل : نعم، ونصح أن يترك بلده إلى بلد فيها قوم صالحون يعبدون الله، فتوجه إليهم فأدركه الموت في منتصف الطريق، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: إنه جاء تائباً، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط، فجاء ملك على صورة آدمي فحكموه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة، وفي رواية: فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها[1] ، فتأمل هذا وتدبره جيدًا، فإن فيه ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

نسأل الله أن يرزقنا حسن القبول، ويجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، والحمد لله رب العالمين.

(١) رواه مسلم مفصلا.

مع النبي ﷺ في صدقة الفطر

إن من جمال هذا الدين وكماله أن أقام التوازن والتكافل بين الأغنياء والفقراء، وأن الله ﷻ قد افترض في أموال الأغنياء حقًّا معلومًا يرد على الفقراء، فلا يستغني غني بماله ويختص به من دون الفقراء، ولا يتكل فقير على غني فيكون عالة عليه، بل أمر الإسلام كل قادر على العمل، أن يعمل ونهى عن المسألة والمسكنة، وحث على التعفف، ووعد المتقين بالرزق بعد الضيق، واليسر بعد العسر، قال الله تعالى: ﴿...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وإن من جمال هذا الدين وكماله، أن الله ﷻ فرض الصيام على عباده ليستوي الغني مع الفقير في الإحساس بالجوع والعطش، لتتحرك في الأغنياء مشاعر الرحمة والرأفة بالفقراء والمساكين وأصحاب الحاجة، فيمدون إليهم يد العطف والإحسان، بغير منة ولا أذى، وجعل ذلك حقًّا معلوماً، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾[المعارج: ٢٤، ٢٥] ، وقد نظَّم الإسلام هذا الجانب تنظيمًا دقيقاً رائعاً تكفَّل فيه بالقضاء على الفقراء من خلال فريضة الزكاة التي هي ثالثة أركان الإسلام، وقد جاء يوم لم يجد فيه بيت المال من يأخذ الصدقات أيام الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، وهذا هو الوضع الطبيعي للمسلمين عندما تؤدى فريضة الزكاة حق الأداء.

وقد أوجب الله تعالى على الصائم زكاة الفطر في رمضان، وتجب على كل مسلم عنده قوت عياله ليوم وليلة، تدفع عن الصغير والكبير والذكر والأنثى والحر والعبد والخادم، يخرجها الولي عمن تلزمه نفقتهم، وقدرها صاع من طعام.

عن ابن عمر ﷺ قال: « فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان، صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير، على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين» [(١)].

وعن أبي سعيد الخدري أنه قال: «كنا إذا كان فينا رسول الله ﷺ نخرج زكاة الفطر عن كل صغير وكبير، حر ومملوك، صاعاً من طعام، أو صاعاً من أقط، أو صاعًا من شعير، أو صاعاً من تمر، أو صاعاً من زبيب» [(٢)].

وقد جوَّز بعض أهل العلم نصف صاع من البرّ، ولكن الصاع هو الأولى [(٣)].

وتجب هذه الزكاة في آخر رمضان، ووقت وجوبها غروب شمس ليلة الفطر إلى صلاة العيد، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات، ويجوز تقديمها عن ليلة العيد بيوم أو يومين، وأجاز الشافعي وأبو حنيفة إخراجها من أول الشهر.

ويرى أكثر الأئمة والعلماء وجوب الالتزام بأداء صدقة الفطر من أصناف الطعام الواردة في الأحاديث الصحيحة المروية عن النبي ﷺ، وهذا ما ذهب

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الجماعة .

(٣) يزن الصاع ألفين وأربعين غراماً.

إليه الأئمة الثلاثة : الشافعي وأحمد ومالك ﷺ. وأوجب الإمام الشافعية ﷺ أن تكون صدقة الفطر من غالب قوت البلد. وكل هذا صحيح سديد .

ولكن الإمام أبا حنيفة ﷺ أفتى بجواز إخراج القيمة، وتابعه وأفتى بمذهبه كثير من علماء المذاهب الأخرى، لما في ذلك من تحقيق مصلحة الفقير، وتحقيق الحكمة من فرضية هذه الصدقة.

ومن نظر في مصلحة الفقراء وهم يضطرون إلى بيع الطعام بأقل من نصف قيمته فإنه يرى ما يراه الإمام ومن تابعه من العلماء .

والحكمة من فرض هذه الزكاة أنها طهارة للصائم مما عسى أن يكون وقع فيه خلال صومه من الرفث والفسوق، وطعمة للمساكين يجد فيها الفقراء ما يغنيهم في يوم العيد عن العمل فيشاركون الأغنياء في فرحة العيد، ويجدون فيه ما يوسعون به على أنفسهم وأهليهم وعيالهم من الأطفال، في ملبسهم ومأكلهم، فلا يُشوه العيد بأكف السائلين تطلب الصدقة، ولا تُعكر صفاءه نظرات المحرومين تشكو العسر والفاقة، فيلتقي في العيد الجميع على اليسر والسعة وتمتلئ القلوب بالحب والبهجة والسرور، فكأن الشارع الذي أوجب على الناس أن يتساووا في الجوع والعطش، وفي وقت الإفطار والإمساك في رمضان، قد أوجب عليهم أن يتساووا في الشبع والري، والفرحة والحبور في الفطر من رمضان، وبذلك تشيع بين المسلمين أفراح العيد، فلا يختص بها ناس دون آخرين، ولا يحرم منها ناس لا ذنب لهم إلا أنهم ليسوا من أصحاب الغنى وذوي الأموال... ولذا سنَّ رسول الله ﷺ إخراجها قبل صلاة العيد، فعن ابن عمر ﷺ :« أن رسول الله ﷺ أمر بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج

الناس إلى الصلاة»[1].... ومن هذا الحديث الشريف يتضح أن رسول الله ﷺ قد قصد بذلك استغناء الفقراء عن السؤال في يوم العيد.

قال ﷺ: «**أغنوهم بها عن السؤال ذلك اليوم**».

ومن جمال هذه الصدقة شمولها عموم المسلمين، فقد رأينا وجوبها على كل من كان عنده قوته وقوت عياله ليوم وليلة، وهذا ما يجعلها واجبة على الفقراء أنفسهم الذي هم أهلها، وفي هذا ارتفاع بهؤلاء الفقراء إلى مستوى العطاء، وتعليم لهم أن لا يقتصروا على موقف الأخذ، ونهوض بهم عن حضيض الشح، وتحقيق لقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]... وهي طاعة لحديث رسول الله ﷺ... فعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ فرض زكاة

الفطر من رمضان صاعًا من تمر أو صاعاً من شعير على كل فرد حر أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين (وعنه عن طريق ثان) فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر على الصغير والكبير والحر والعبد صاعًا من تمر أو شعير[2].

(١) رواه الإمام أحمد.

(٢) رواه الإمام أحمد.

مع النبي ﷺ في عيد الفطر

شرع رسول الله ﷺ للمسلمين في عامهم عيدين تظهر عليهم فيهما الفرحة والحبور، ويعم ذلك بيوت المسلمين وطرقهم ومساجدهم وأسواقهم، ويشارك فيها الكبار والصغار والرجال والنساء، وهما: عيد الفطر وعيد الأضحى.

ويرتبط هذان العيدان بفريضتين عظيمتين من فرائض الإسلام، فعيد الفطر يأتي بعد رمضان شكرًا لله ﷻ على تمام النعمة في الصيام، وما يؤمله الصائمون من الثواب العظيم، بعد صيام الشهر وقيامه والتماس ليلة القدر، والاجتهاد في العشر الأواخر ... فإذا أتم المسلمون أداء هذه الفريضة خرجوا إلى الفطر بمشاعر الفرحة والسرور، وانطلقوا يكبرون الله على ما هداهم ويشكرونه على ما أتاحه لهم من الهدى والفرقان، ويثنون عليه ويمجدونه بما هو له أهل، وفي هذا العيد تغمر السعادة القلوب، وتصفو فيه النفوس، ويلتقي الناس على الحب والتآلف والتراحم والتزاور والتواصل، ويهنئ بعضهم بعضًا بعبارات تفيض بالود والإخاء، وقد أباح رسول الله ﷺ للمسلمين اللعب في أيام العيد، فعن أنس بن مالك قال: «كان لأهل الجاهلية يومان في كل سنة يلعبون فيهما، فلما قدم النبي ﷺ إلى المدينة قال :«**كان لكم يومان تلعبون فيهما، وقد أبدلكم الله بهما خيراً منهما : يوم الفطر ويوم الأضحى**»»[1] .

(١) رواه النسائي.

ويطلق على عيد الفطر يوم الجوائز، عن ابن عباس ﷺ مرفوعاً : « **إذا كان يوم الفطر هبطت الملائكة إلى الأرض فيقومون على أفواه السكك ينادون بصوت سمعه جميع من خلق إلا الجن والإنس، يقولون : يا أمة محمد، أخرجوا إلى رب كريم، يعطي الجزيل، ويغفر الذنب العظيم، فإذا برزوا إلى مصلاهم يقول الله ﷻ لملائكته: يا ملائكتي، ما جزاء الأجير إذا عمل عمله ؟ فيقولون: إلهنا وسيدنا توفيه أجره، فيقول: إني أشهدكم أني قد جعلت ثوابهم من صيامهم وقيامهم رضائي ومغفرتي، انصرفوا مغفورا لكم**»[1].

وكان من هديه ﷺ التكبير في العيد، ويبدأ التكبير إذا رؤي الهلال ليلة العيد حتى يغدو إلى المصلى ويخرج الإمام.

أما عيد الأضحى فيبدأ التكبير من فجر يوم العيد إلى عصر اليوم الثالث من أيام التشريق – رابع أيام العيد – والتكبير في عيد الأضحى لا يقتصر على وقت الصلاة، بل هو مستحب في كل وقت، ومن العلماء من قصر التكبير على أعقاب الصلوات .

ويستحب في العيدين الغسل والطيب ولبس أجمل الثياب، عن الحسن بن علي ﷺ قال : «أمرنا رسول الله ﷺ في العيدين أن نلبس أجود ما نجد، وأن نتطيب بأجود ما نجد، وأن نضحي بأثمن ما نجد»[2].

ومن هديه ﷺ الأكل قبل الخروج إلى صلاة عيد الفطر، وتأخير الأكل في عيد الأضحى إلى ما بعد الصلاة فيأكل من أضحيته .

---

(١) ذكره ابن رجب، وفي سنده مقال.

(٢) رواه الحاكم.

عن أنس ﷺ قال : «كان رسول الله ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات، ويأكلهن وتراً»[١].

وعن بريدة قال : «كان النبي ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل، ولا يأكل يوم الأضحى حتى يرجع» [٢]، وكان يصلي العيد في المصلى خارج المدينة «في موقع مسجد الغمامة المشهور في المدينة المنورة» وصلاها مرة في المسجد بسبب المطر. فعن أبي هريرة ﷺ : «أنهم أصابهم مطر يوم عيد فصلى بهم النبي ﷺ في المسجد»[٣]، والحكمة من الصلاة في المصلى أن يجتمع أهل البلد كلهم أو أكثرهم في مكان واحد يكبرون الله ويشكرونه ويتعارفون فيما بينهم، ويتبادلون التهنئة بالعيد رمز عبادتهم، ويوم اجتماعهم وتراحمهم وتعاونهم على البر والتقوى.

ويشرع خروج النساء والصبيان في العيدين إلى المصلى، حتى الحوائض من النساء، يشهدن الصلاة ويسمعن الخطبة، ولكن يعتزلن المصلى.

عن ابن عباس ﷺ قال : «خرجت مع النبي ﷺ يوم فطر أو أضحى فصلي، ثم خطب، ثم أتى النساء فوعظهن وذكَّرهن وأمرهن بالصدقة» [٤].

وكان ﷺ يخالف الطريق إلى المصلى، فيذهب من طريق ويعود من آخر، عن أبي هريرة قال: «كان النبي ﷺ إذا خرج إلى العيد يرجع في غير الطريق الذي خرج فيه[٥] ، ولا مانع من أن يعود من الطريق نفسه، وكان يخالف

(١) رواه البخاري وأحمد.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد.

(٣) رواه أبو داود وابن ماجه ،والحاكم، وفي إسناده مجهول.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه أحمد والترمذي.

الطريق ليمر بأكبر عدد من الناس فيهنئهم بالعيد ويسلم عليهم ليسرهم بذلك، ويشيع الفرح في أنفسهم.

وتؤدي صلاة العيد قبل الخطبة، ثم يخطب ويجلس بين الخطبتين ولا يؤذن للصلاة ولا تقام لأنها سُنَّة، ويكبر الإمام في الركعة الأولى بعد

تكبيرة الإحرام سبعًا، وفي الركعة الثانية بعد تكبيرة القيام خمساً والتكبير سُنَّة لا تبطل الصلاة بتركها سهوًا ولا عمدًا، ولو تركها سهواً فلا يسجد للسهو، ولا تصلى قبلها سُنَّة ولا بعدها إلا إذا كانت في المسجد فتصلى ركعتان قبلها حرمة للمسجد .

ويباح في العيدين اللعب المباح، واللهو البريء، والنشيد الحسن غير المصحوب بمحرم أو مكروه، ورياضة الأبدان، وترويح القلوب.

عن عائشة ﵂ قالت : «دخل علينا أبو بكر في يوم عيد، وعندنا جاريتان تذكران يوم بعاث، يوم قتل فيه صناديد الأوس والخرزج، فقال أبو بكر: أمزمار الشيطان، قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر، إن لكل قوم عيدًا، وإن اليوم عيدنا**»»[(١)].

وعنها أيضًا قالت:«إن الحبشة كانوا يلعبون عند رسول الله ﷺ في يوم عيد فاطلعت من فوق عاتقه فطأطأ لي منكبيه، فجعلت أنظر إليهم من فوق عاتقه حتى شبعت ثم انصرفت» [(٢)].

وعن عائشة أنه قال يومئذ: «لتعلم يهود المدينة أن في ديننا فسحة،اني بعثت بحنيفية سمحة» [(٣)].

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه أحمد والشيخان .

(٣) رواه الحافظ في الفتح.

وكل هذا مع التستر والالتزام بآداب السلام، والعيد مناسبة طيبة لزيارة الأهل، وصلة الرحم، والتراحم والتعاطف بين الناس وبث الفرحة والسعادة والتوسيع على أهل البيت وإكرامهم والتباسط معهم وإدخال السرور عليهم .

والله نسأل أن يتقبل منا جميعًا، ويتقبل صيامنا وقيامنا وصالح أعمالنا إنه على كل شيء قدير.

بعض أحكام الصيام في غير رمضان

تحريم صوم يومي العيدين وأيام التشريق :

العيد في الإسلام يوم فرح وسرور وبهجة، وإظهار الزينة في غير تكبر ولا خيلاء ولا إسراف، تشترك فيه الأمة كلها برجالها ونسائها وصبيانها وأغنيائها وفقرائها، والعيد في الإسلام وثيق الصلة بالدين والدنيا، في غير تنطع أو تسبب أو تجاوز الحدود ما أنزل الله ﷻ .

وقد رأينا صلة عيد الفطر برمضان، وفرحة الصائمين بإتمام الصيام وتكبير الله وشكره على نعمة الإسلام والقرآن والهدى، ولا يخفى على مسلم ما لعيد الأضحى من صلة بفريضة الحج وأداء المناسك، ابتداء من الدخول في النسك بالإحرام من الميقات، وانتهاء بالرمي والنحر والحلق أو التقصير والتحلل من الإحرام يوم النحر الذي هو أول أيام العيد، مع ما في هذه الفريضة من الخير والمنافع الدينية والدنيوية، وما يحصل للحجاج من العفو والمغفرة والرحمة العظيمة والفوز الكبير في الدنيا والآخرة .

ولما كان يوم العيد بهذه المنزلة وبهذا المعنى، فقد حرم الإسلام صوم يوم عيد الفطر، ويوم عيد الأضحى وثلاثة أيام التشريق بعده، لأن أيام العيد أكل وشرب وتكبير وفرح وتزاور، وأيام شكر على تمام العبادة.

عن أبي عبيد مولى ابن أزهر أنه قال : شهدت العيد مع عمر بن الخطاب ﷺ ، فجاء فصلى، ثم انصرف فخطب الناس فقال: «إن هذين يومان نهى رسول الله ﷺ عن صيامهما ، يوم فطركم من صيامكم، والآخر يوم تأكلون فيه من نسككم»[١] ، وفي حديث آخر عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :« **لا يصلح الصيام في يومين، يوم الأضحى ، ويوم الفطر من رمضان**»[٢]، وعن أبي هريرة ﷺ : «أن رسول الله ﷺ نهى عن صيام يومين، يوم الأضحى، ويوم الفطر من رمضان» [٣].

وقد ورد عن عقبة بن عامر عن رسول الله ﷺ النهي عن صيام أيام التشريق الثلاثة، قال: قال رسول الله ﷺ : «**يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب**» [٤]، وعن نبيشة الهذلي قال : قال رسول الله ﷺ: «**أيام التشريق أيام أكل وشرب**» زاد في رواية: «**ذكر الله** ﷻ »، وفي رواية: «أيام وفي رواية: «**أيام منى أيام أكل وشرب**»[٥] .

وقد رخص بصوم أيام التشريق للحاج الذي لم يجد الهدي إذا لم يكن قد صام الأيام الثلاثة التي في الحج قبل يوم عرفة، وهي فدية من لا يستطيع الهدي إذا وجب عليه قال تعالى:﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾[البقرة : ١٩٦].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه مسلم.

وروى الترمذي، قال أبو عيسى: حديث عقبة بن عامر حديث صحيح والعمل على هذا عند أهل العلم: يكرهون صيام أيام التشريق إلا أن قوما من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم رخصوا للمتمتع إذا لم يجد هديًا ولم يصم في العشر أن يصوم أيام التشريق، وبه يقول مالك بن أنس والشافعي وأحمد وإسحاق.

وفي تحريم الصوم في يومي العيدين وأيام التشريق دعوة للأمة أن تكون أعيادها أيام فسحة ويسر وفرحة وأكل وشرب وتزاور وتواصل وتهان وتبادل وإكرام تشيع في حياة المسلمين البهجة والألفة والحيوية والنشاط.

النهي عن صيام الدهر :

نهى الله ﷻ عن الغلو في الدين، وكره رسول الله ﷺ الإفراط والتفريط، وحذرنا من التنطع ، وقد ذم ﷻ طائفة من أهل الكتاب من النصارى الذين انصرفوا عن الحياة إلى الرهبانية والانقطاع للعبادة مع عدم العمل والكسب والتعالي على طلب المعيشة، والتطهر من كل أسباب الحياة الإنسانية الطبيعية والعزوف عن الزواج والزهد في الحياة الدنيا، فعلوا ذلك بمحض اختيارهم والتزموه من تلقاء أنفسهم، وعاهدوا الله على ذلك فصاروا مطالبين به، ولكنهم عجزوا عن الوفاء بالعهد، وأصبحت رهبانيتهم شعائر خالية من الروح والتجرد لله، ووقعت من بعضهم المخالفات الكثيرة، وتلطخ الكثيرون منهم بالآثام والانحرافات والمنكرات القبيحة .

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ۚ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ

أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[الحديد: ٢٧].

ولما كان صيام الدهر، غلوًّا في الدين يؤدي إلى الاضرار بالجسم، والإخلال بالعبادة، وتضييع الحقوق الواجبة من زوج وأولاد، وأرحام وأضياف، وترك السعي والتعرض للفقر والفاقة، والعجز عن المواظبة في الكبر والشيخوخة، فقد جاء الإسلام بمنع ذلك والتحذير منه، وعندما بلغ النبي ﷺ أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يقوم الليل ويصوم النهار ويقرأ القرآن كل ليلة، وأنه يقول: لأقومن الليل و لأصومن النهار ما عشت، فقال رسول الله ﷺ: «**أأنت الذي تقول ذلك؟**» قال: فقلت له: قد قلته يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ : «**فإنك لا تستطيع ذلك، فصم وافطر، ونم وقم ، وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر**»، قال: قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك. قال: «**صم يومًا وافطر يومًا ... وذلك صيام داود، وهو أعدل الصيام**». قال قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك. قال رسول الله ﷺ: « **لا أفضل من ذلك**»... قال عبد الله بن عمرو : لأن أكون قبلت الثلاثة الأيام التي قال رسول الله ﷺ أحب إليّ من أهلي ومالي.[1]

وفي حديث آخر عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: «... فقال لي: «**ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة**»، فقلت: بلى يا نبي الله ... قال :« **فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام**». قلت: فإن أطيق أفضل من ذلك. قال : «**فإن لزوجك عليك حقًّا، ولزورك عليك حقًّا ولجسدك عليك حقًّا** ...» (ثم أمره بصيام داود كما مر) ثم قال:«واقرأ القرآن في كل شهر»، قال: قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك . قال : «**فاقرأه في كل عشرين**»

(١) رواه مسلم.

قال: قلت: ... (حتى قال النبي): «**فاقرأه في كل سبع ولا تزد عن ذلك...**» قال : فشددت فشدد عليّ. قال: فصرت إلى الذي قال، فلما كبرت وددت أني كنت قبلت رخصة رسول الله ﷺ»[1].

ولذلك نرى أن النبي ﷺ قد شرع لأمته المنهج الوسط الذي تستحق به مصالحهم الدينية والدنيوية، وهذا من كمال رحمته وشفقته بأمته، وتصديقٌ لما وصفه به ربه ﷻ حيث قال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقد شدد النبي ﷺ في النهي عن صوم الدهر فقال: «**لا صام من صام الأبد، لا صام من صام الأبد، لا صام من صام الأبد**»، وهذا دعاء عليه يراد به الزجر والإبعاد عن صوم الدهر.

وقال بعضهم بجواز صوم الدهر، ما دام الصائم يفطر في العيدين وأيام التشريق الثلاثة، واعتمدوا في ذلك على حديث حمزة بن عمرو الذي رواه البخاري ومسلم أنه قال يا رسول الله إني أسرد الصوم، أفأصوم في السفر؟ فقال:« **إن شئت فصم**» ولكن قوله ﷺ لعبد الله بن عمرو:« **أفضل من ذلك**»؛ أي: من صيام يوم وإفطار يوم كما كان صوم داود عليه السلام، يدل على أن ذلك خير من السرد؛ أي من صيام الدهر، وصيام النبي ﷺ يدل على هذا، فقد كان أعبد الناس، وأتقى الناس لله، قال ﷺ: «**أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني**»[2].

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم .

وعن أنس ﷺ :« أن رسول الله ﷺ كان يصوم حتى يقال قد صام قد صام، ويفطر حتى يقال : قد أفطر قد أفطر »[١].

وعن عائشة ﷺ قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول : لا يفطر، ويفطر حتى نقول : لا يصوم. وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته في شهر أكثر منه صياما في شعبان» [٢].

فمن كان صائمًا مجتهدًا في ذلك، فليصم صيام داود ﷺ ولا يزد على ذلك، فإنه أعدل الصيام، أو صيام رسول الله ﷺ، يصوم من كل شهر ثلاثة أيام وذلك كحد أدنى، وإن شاء زاد صيام الاثنين والخميس، وإن وجد في نفسه نشاطًا وخفة فليصم أيامًا كثيرة أسبوعًا أو أكثر، ثم يفطر مثل ما صام أو أكثر مما صام، ولا يتم صيام شهر إلا رمضان، ولا يكون في شهر أكثر صيامًا من شعبان، وليصم التاسع والعاشر من المحرم، وليصم تسع ذي الحجة، وفيها يوم عرفة، وليصم من الأشهر الحرم أكثر مما يصوم في غيرها إن شاء، وليحذر أن ينذر الأشهر في أيام مخصوصة، فإن الوفاء بالنذر واجب، وقد يصير غير قادر عليه، وليكن في صومه كله أمير نفسه، ولا يتشدد فيه فيشدد عليه، فإن أحب الأعمال إلى الله ما داوم صاحبه في شبابه وشيخوخته، والحمد لله رب العالمين.

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه .

صيام شعبان :

وكان من هديه ﷺ كثرة الصيام في شعبان، عن عائشة رضي الله عنها قالت : «لم يكن النبي ﷺ يصوم من شهر أكثر من شعبان، فإنه كان يصوم شعبان كله ... كان يصوم شعبان إلا قليلا » [١].

ويحمل قولها: يصوم شعبان كله، أن يصوم أكثره، ويؤيد هذا قولها بعد ذلك : كان يصوم شعبان إلا قليلاً، وحديث عائشة الآخر وقد سئلت: هل كان النبي ﷺ يصوم شهرًا معلومًا غير رمضان؟ قالت: «والله إن صام - أي ما صام - شهرًا معلومًا سوى رمضان حتى مضى لوجهه، ولا أفطره حتى يصيب منه» [٢].

وقد سبق أن ذكرنا نهيه عن صيام الدهر، وإرشاده إلى أن أعدل الصيام صيام نبي الله داود، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً .

وقد نهى ﷺ عن الصوم بعد نصف شعبان، وذلك ليكون الفطر تقوية على صيام الفريضة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «إذا بقي نصف من شعبان فلا تصوموا» [٣]، ولكنه أذن بالصوم في النصف الثاني لمن كانت له عادة كمن يصوم الاثنين والخميس، ومن يصوم صيام داود عليه السلام. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين، إلا أن يكون رجل كان يصومه، فليصم ذلك اليوم**» [٤].

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الترمذي.

(٤) متفق عليه .

ونهى كذلك عن صيام يوم عن صيام يوم الشك وهو: الثلاثون من شعبان إذا لم يرَ الهلال ليلة ثلاثين، فعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تصوموا قبل رمضان، صوموا لرؤيته، وافطروا لرؤيته، فإن حالت دونه غمامة فأكملوا ثلاثين يوماً**»[1].

لأن من صام يوم الشك ثم صام رمضان ثلاثين يوماً يكون قد صام واحدًا وثلاثين، وقد عدّ عمار بن ياسر ﷺ ذلك معصية للنبي ﷺ فقال: «من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ»[2].

ومما يؤكد شدة استحباب الصيام من شعبان حديث عمران بن حصين ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال له أو لآخر: «**أصمت من شهر شعبان؟**» قال: لا. قال: «**فإذا أفطرت** - أي: من رمضان - **فصم يومين**»[3].

وفي رواية: «**فإذا أفطرت من رمضان فصم يومين مكانه**»[4].

وفي هذا تذكير لمن فاته الصيام من شعبان لمرض أو إهمال أو نسيان أن يصوم بعد رمضان بنية الصوم عن شعبان؛ لأن الصيام فيه مستحب استحبابًا مؤكدًا يزيد على استحباب الصيام في غيره من الشهور، والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه أبو داود والترمذي.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

صيام ستة أيام من شوال :

كان من هدي النبي ﷺ صيام ستة أيام من شوال، وقد حث الأمة على صيامها، ولعل الحكمة في صيام هذه الأيام أنه يجبر ما حصل من الخلل والتقصير في صيام رمضان، وأن المسلم لكونه حديث عهد بالصيام يسهل عليه استئنافه لما حصَّله في الشهر من قوة الإرادة، ولذة العبادة، وربما كان في هذا الصوم تخفيف عن المعدة لئلا تتتالى عليها الأطعمة بعد الراحة الطويلة، فيكون ذلك سببًا في التخمة وحصول المرض أو التعب.

وقد بيَّن ﷺ فضيلة صيام هذه الأيام فقال فيما رواه أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:«**من صام رمضان ثم أتبعه ستّاً من شوال كان كصيام الدهر**»[1] ... لأن الحسنة تتضاعف عشراً، وصيام رمضان يعدل صيام عشرة أشهر، وصيام ست من شوال يعدل شهرين، فيكون ذلك كصيام العام كله.

واختلف في صيام هذه الأيام، فالشافعية يفضلون فيها التتابع، ويرى الإمام مالك تفريقها حذر أن يبتدع الجهال بعدها عيداً، وقد اتخذ بعضهم بعدها عيدًا سموه عيد الأبرار، والجمهور يجمعون على جواز تفريقها وربما كان تفضيل تفريقها لئلا يكون بينها وبين صوم الفريضة شبه التتابع، ويكون تفريقها أسهل وأيسر. والله تعالى أعلم.

(١) رواه مسلم .

صيام عشر ذي الحجة :

المقصود بصيام عشر ذي الحجة هو صيام التسعة الأيام الأولى منه؛ لأن صوم اليوم العاشر حرام كما ورد في النهي عن صيام يومي العيدين .

وقد ثبت بنص القرآن الكريم فضيلة هذه العشر بقوله تعالى : ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ﴾ [الفجر: ١، ٢] كما ثبت بحديث النبي ﷺ أنه قال: «**ما من أيام العمل الصالح فيها أفضل من هذه**»؛ يعني: العشر الأوائل من ذي الحجة[١] .

وقد روى أبو داود عن بعض أزواج النبي ﷺ قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم تسع ذي الحجة ويوم عاشوراء، وثلاثة أيام كل شهر والاثنين والخميس»[٢].

وصيام يوم عرفة آكد هذه الأيام، لما صح عن النبي ﷺ أنه سئل عن صيام يوم عرفة فقال : «**ذلك يوم يكفِّر السنة الماضية**»، وقد سئل ابن تيمية عن عشر ذي الحجة والعشر الأواخر من رمضان أيهما أفضل؟ فقال : أيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان، والليالي العشر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة.

وهذا من أعدل ما قيل في الجواب على من سأل، فأيام عشر ذي الحجة فيها يوم التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر، وليال العشر الأواخر من رمضان هي الليالي التي فيها ليلة القدر.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أبو داود وأحمد والنسائي.

صيام عاشوراء :

صيام يوم عاشوراء - وهو العاشر من المحرم - سُنَّة وردت فيها الأحاديث الصحيحة، وقد كان رسول الله ﷺ يصومه في مكة قبل أن يفرض صوم رمضان في السنة الثانية للهجرة، وكانت قريش تصوم هذا اليوم أيضًا قبل الإسلام، كما كان اليهود يصومونه .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن أهل الجاهلية كانوا يصومون يوم عاشوراء، وأن رسول الله ﷺ صامه قبل أن يفترض رمضان، فلما افترض رمضان قال رسول الله ﷺ :« **إن عاشوراء يوم من أيام الله، فمن شاء صامه، ومن شاء تركه**» [(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم: «**ما هذا اليوم الذي تصومونه؟**» فقالوا : هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرًا، فنحن نصومه، فقال: «**نحن أحق وأولى بموسى منكم**» فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه[(٢)] .

وقد كان صيام النبي ﷺ لهذا اليوم قبل الهجرة، وقبل أن يسأل اليهود عن سبب صيامهم إياه، وكان صوم هذا اليوم مشروعًا للمسلمين قبل أن يفرض رمضان، فلما افترض رمضان صار صيامه سُنَّة لمن شاء أن يصومه، كما دل عليه حديث ابن عمر السابق. وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يأمرنا بصيام يوم عاشوراء ويحثنا عليه، ويتعاهدنا عنده، فلما فرض رمضان، لم يأمرنا، ولم ينهنا، ولم يتعاهدنا» [(٣)].

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم .

وقد أجمع العلماء على أن صوم عاشوراء سُنَّة وليس واجبًا، وقد كان صيامه مشروعًا قبل الأمر بصيام رمضان، وذهب أبو حنيفة إلى أن صيامه كان واجبًا قبل فرض رمضان، وذهب الشافعي إلى أن صيامه لم يزل سُنَّة منذ شرع، وكان متأكد الاستحباب فلما شرع رمضان صار مستحبّاً دون ذلك التأكيد.

وإلى هذا يشير حديث عائشة ﵂ قالت: «كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه، فلما هاجر إلى المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فرض شهر رمضان قال: «**من شاء صامه ، ومن شاء تركه** »» [(١)].

ويستحب في صيامه أن يصام يوم قبله أو يوم بعده مخالفة لليهود، والأفضل أن يكون قبله .

عن أبي غطفان المري قال: سمعت عبد الله بن عباس ﵄ يقول : «حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى، فقال رسول الله ﷺ : «**فإن كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع**»»[(٢)] .

والمراد بصوم التاسع أن يصام مع العاشر، وأراد الصحابة ﵃ بقولهم: «يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود» أن يبينوا خوفهم من أن يشابهوا اليهود في تعظيمهم لعاشوراء، فبيَّن لهم ﷺ أن صيام يوم قبله معه كافٍ للدلالة على استقلالية المسلمين، وعدم مشابهتهم لأعدائهم، ويؤكد هذا ما سبق أن ذكرنا أن رسول الله ﷺ كان يصوم عاشوراء في مكة قبل الهجرة، وأن قريشًا كانت تصومه كذلك، وأن صيامه ﷺ

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

لعاشوراء لأنه يوم من أيام الله ؛ أي: يوم أظهر الله فيه المسلمين على الكافرين، فنجاهم من الغرق، وأهلك عدوهم، فرعون وجنوده فأغرقهم وأذلهم، وأظهر فضله وتأييده لنبيِّه موسى ﷺ، وقد سمَّى الله ﷻ الأيام التي أهلك فيها الأمم السابقة مثل قوم نوح وقوم عاد وثمود ونجى أنبياءه المرسلين ومن كان معهم من المؤمنين (أيام الله) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[إبراهيم: ٥].

وفي صيام المسلمين ليوم عاشوراء، وقد رأينا من شأنه ما ذكر، دليل على أن الدين عند الله واحد وهو الإسلام، وأن كل نبي بعثه الله إلى قومه بالإسلام، وأن كل أمة استجابت لنبي من أنبياء الله ﷻ وآمنت به واتبعته هي أمة مسلمة، وأن مواكب النبيين والصالحين متصل بعضها ببعض بأوثق الروابط، مهما اختلفت أزمانهم، وتباعدت أجناسهم وألوانهم وأسماؤهم؛ لأن ربهم واحد، وعقيدتهم واحدة، وهدفهم واحد، وسماتهم واحدة، ودينهم واحد، : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ ...﴾ [آل عمران: ١٩].

وهذا ما تؤكده آيات الكتاب الحكيم في عشرات الآيات على ألسنة رسله ومن اتبعهم بإحسان، وهي ظاهرة واضحة لا تخفى على الناظرين في كتاب الله بتدبر، حتى فرعون فإنه أعلن أنه مسلم حين أدركه الغرق وأوشك أن يموت فقال : ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ... ﴾[يونس: ٩٠] .

صوم المحرم:

ومن الشهور التي يستحب الصيام فيها استحبابًا أشد: شهر الله المحرم، لحديث النبي ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه : «**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**» [1].

ولذلك يستحب أن يصام منه أكثر من ثلاثة أيام، ثلاثة أيام، كأن يصوم الخميس والاثنين، أو أن يصوم يوماً ويفطر يوماً، أو يصوم مع الخميس والاثنين الأيام الثلاثة البيض، وهي الثالث عشر والرابع عشر، والخامس عشر، أما صومه كله فلا يستحب كما سبق في صوم شعبان.

ومما يؤكد استحباب الصيام من شهر المحرم أنه أحد الأشهر الحرم وهي: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب. وقد ورد الحديث عن محيبسة الباهلية عن أبيها أو عمها أنه أتى رسول الله ﷺ ثم انطلق فأتاه بعد سنة وقد تغيرت حاله وهيأته، فقال : «يا رسول الله أما تعرفني؟ قال: «**ومن أنت؟**» قال: أنا الباهلي الذي جئتك عام الأول. قال:«**فما غيَّرك وقد كنت حسن الهيئة؟**»، قال: ما أكلت طعامًا منذ فارقتك إلا بليل، قال: «**عذبت نفسك**». ثم قال: «**صم شهر الصبر ويوماً من كل شهر**»، قال: زدني فإن بي قوة، قال:« **صم يومين**» . قال : زدني . قال: «صم ثلاثة أيام»، قال: زدني، قال:«**صم من الحرم واترك، صم من الحرم واترك، صم من الحرم واترك** »» [2] ... وشهر الصبر رمضان.

أما شهر رجب فلم يرد في صومه ندب ولا نهي، وحكمه حكم باقي الشهور، ولكن الصوم مندوب فيه وفي الأشهر الحرم أكثر وهو منها .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه أبو داود.

وكذلك صلاة الليل فإنها مستحبة استحبابًا شديدًا، قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧]. إلا أن قيام الليل كله غير مستحب ومخالف لهديه وهدي إخوانه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فمن الثابت عنه ﷺ أنه لم يخل ليلة من النوم، ولم يأمره ربه ﷻ بقيام الليل كله بل بقيام أكثره، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ١ - ٤]. وبذلك نرى أن نوم جزء من الليل أحب إلى الله تعالى من قيامه كله؛ لأنه ينشط على العبادة ويعين على التفكير والخشوع، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحب الصيام إلى الله صيام داود، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه وينام سدسه، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا**»[(١)].

وفي الرواية الأخرى عنه: «**ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار؟**» قلت: إني أفعل ذلك. قال: «**فإنك إذا فعلت ذلك هَجَمَتْ عيناك، وَنَفِهَتْ نفسك، لعينك حق ولنفسك حق، ولأهلك حق، قم ونم، وصم وافطر**»[(٢)].

أي: تعبت نفسك وأعيت، وغارت عينك ونهكت. وذلك لأن قيام الليل كله يضر بالنفس، ويؤدي إلى تضييع الحقوق، وقد كان ﷺ يقول: «**خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لن يمل حتى تملوا**»، وكان يقول: «**أحب العمل إلى الله ما دام عليه صاحبه وإن قلَّ**»[(٣)]، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

صيام ثلاثة أيام من كل شهر:

ومن هديه ﷺ صيام ثلاثة أيام من كل شهر، والأفضل صومها في الأيام البيض، وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر، وسميت الأيام البيض لأن ليالها تكون بيضًا من نور القمر الذي يكون قد صار بدرًا ساطعاً، عن معاذة العدوية أنها سألت عائشة رضي الله عنها: «أكان رسول الله ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام؟ قالت: نعم، فقلت: من أي الشهر كان يصوم؟ قالت: لم يكن يبالي من أي الشهر يصوم»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «أوصاني خليلي ﷺ بثلاث لن أدعهن ما عشت: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، وبأن لا أنام حتى أوتر» [(٢)]. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «**إذا صمت من الشهر ثلاثًا فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة** »[(٣)] .

وصيام ثلاثة أيام من كل شهر يعدل صيام الدهر؛ لأن الحسنة تضاعف عشر مرات، وربما قيل : إذا كان صوم رمضان وست من شوال يعدل صيام الدهر، فلماذا صيام ثلاثة أيام من كل شهر وقد حصل أجر صيام الدهر بالست من شوال، والجواب على ذلك : أن صيام النافلة سُنَّة تقرب من الله ﷻ، وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى في الحديث القدسي :«**ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ...** »[(٤)] ، وبذلك يكون صيام ثلاثة أيام من كل شهر زيادة في الأجر لمن صام ستّاً من شوال،

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه البخاري.

وصيام الدهر لمن صام ثلاثة أيام من كل شهر، وكل سُنّة تؤدى لها أجر، فإذا أديت السنن الكثيرة انهال على صاحبها الأجر، وتضاعف الثواب أكثر فأكثر إلى ما لا يعلم إلا الله ﷻ، فيكون صيام ستة أيام من شوال، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر كمن صام دهره مرتين، فإذا زاد زاد الله في أجره حسب تلك الزيادة، والله يضاعف لمن يشاء، فإذا رأى من عبده صدق التوجه وإخلاص العبادة ضاعف الأجر إلى ما لا يعلم إلا الله ﷻ، ومما خص الله تعالى به الصيام أن مضاعفة الأجر فيه غير محدد بعدد، وهذا واضح من قوله تعالى في الحديث القدسي: «**إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به**»[1].

وكذلك يقال في قوله ﷺ: «**من صام رمضان إيمانا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» و«**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**»، فإذا غفر الذنب بصيام رمضان، كان القيام نافلة؛ أي: زيادة في الأجر والثواب ورفعة في الدرجات، وكذلك قيام ليلة القدر، يكون فيها الأجر مضاعفًا ثلاثين ألف مرة، ويكون هذا كله فضلاً من الله الكريم الوهاب الذي لا يحد عطاؤه ولا يتصور كرمه، ولا تنقص خزائنه مهما أكرم وأجزل.

وينبغي التنبيه هنا إلى أن الأعمال التي قال النبي ﷺ إنها تكفِّر ما تقدم من الذنوب كالوضوء، والصلاة، والصيام والحج والقيام... المراد بها الصغائر، فإذا لم يكن صغائر يرجى التخفيف من الكبائر، فإن لم يكن كبائر تكون رفعة درجات، وأما الكبائر فلا بد من تركها والتوبة منها توبة نصوحًا، وعدم العودة إليها، والندم على فعلها ورجاء عفو الله عنها بكثرة الاستغفار والأعمال الصالحات لتكون ماحية لها .

(١) رواه البخاري.

أما إذا كانت الذنوب تتعلق بحقوق العباد فلا بد من ردها إلى أصحابها أو طلب العفو عنها إذا لم يكن قادرًا على ردها، فإن لم يفعل أو لم يستطع، أخذ أصحاب الحقوق يوم القيامة من حسناته ما يعدل تلك المظالم، فإذا كانت حسناته كثيرة كثيرة نجا لكفاية حسناته، فيبقى منها الكثير ويدخل الجنة، وإن كانت غير كافية أخذ من سيئاتهم فحمل عليه .

فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : «**من كانت عنده مظلمة لأخيه، من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه**»[1].

ولهذا كان آخر آية نزلت من القرآن قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾[البقرة : ٢٨١] .

فانظر أيها المسلم ما أنت صائر إليه من الحساب اليسير على الصالحين، العسير على الظالمين، واعلم أن الله تعالى مطلع عليك، عالم بما في نفسك، وأن الموازين قسط يوم القيامة،﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧،٨] ،﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٩] .

(١) رواه البخاري.

صوم الخميس والاثنين :

ومن هديه ﷺ صيام الاثنين والخميس، فعن عائشة ﵂ قالت : «كان رسول الله ﷺ يتحرى صوم الاثنين والخميس»[١]. وعن أبي هريرة ﵁ قال: «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم» [٢].

وليس في الحديثين ما يدل على مداومته على الصيام في هذين اليومين، ويشهد لهذا حديث أنس ﵁ أن رسول الله ﷺ « كان يصوم حتى يقال : قد صام قد صام، ويفطر حتى يقال : قد أفطر قد أفطر»[٣].

فلو كان يداوم على صيام الاثنين والخميس لما قالوا : قد أفطر قد أفطر؛ لأن هذا يدل على فطره أيامًا كثيرة تزيد على أسبوع أو أسبوعين.

وسئل عن صيام يوم الاثنين فقال :« **ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت أو أنزل عليّ فيه**»[٤]

وفي رواية أخرى فقال: «**فيه ولدت، وفيه أنزل عليّ**».

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم

(٤) رواه مسلم.

إجابة الصائم الدعوة والاعتذار عن الأكل:

إجابة الدعوة حق للمسلم على أخيه المسلم، فمن دعي وجب عليه أن يلبي، ولا يعتذر إلا بعذر بيِّن، وليس الصيام عذرًا في عدم الإجابة، بل يلزم الصائم أن يجيب الدعوة، وقد بيَّن النبي ﷺ حكم من دعي إلى طعام وهو صائم، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا دعي أحدكم إلى طعام وهو صائم فليقل : إني صائم**» [1].

ولكن إذا صعب على صاحب الدعوة صومه استحب له أن يأكل تفاديًا لغضبه، وإدخالاً للسرور على قلبه؛ لأنه لا يلزم المتطوع بعمل أن يتمه إلا الحج، والمتطوع بالصوم أمير نفسه إن شاء ، وإن شاء أفطر، ولا يلزمه قضاء، أما إذا كان صيام قضاء من رمضان فيحرم عليه الفطر بعذر الأكل عند الصديق، وكذلك لو كان صوم نذر؛ لأن الوفاء بالنذر واجب، وتركه حرام حرمة شديدة. قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الدهر : ٧].

وقد بين ﷺ لمن حضر طعامًا وهو صائم ولم يرد الفطر فقال: «**إذا دعي أحدكم فليجب، فإن كان صائمًا فليصل، وإن كان مفطراً فليطعم**»؛ أي: فليأكل ... ومعنى فليصل؛ أي: يتوجه إلى الله تعالى بالدعاء لنفسه وللداعي والمدعوين، وذلك لفضيلة دعاء الصائم وقربه من الله، واستجابة دعائه كما سبق في دعوة الصائم.

---

(١) رواه مسلم .

من مات وعليه صوم :

أجمع العلماء أنه لا يُصلى عن الحي ولا يصام عنه ما دام حيًّا، فإذا مات وعليه صوم صام عنه وليه لحديث عائشة أم المؤمنين ﵂ أن رسول الله ﷺ قال: «**من مات وعليه صيام صام عنه وليه**»[(١)] .

وعن ابن عباس ﵄ أن امرأة أتت رسول الله ﷺ فقالت: إن أمي أن ماتت وعليها صوم شهر فقال: «**أرأيت لو كان عليها دين أكنت تقضينه؟**» قالت: نعم. قال: «**فدين الله أحق بالقضاء**» [(٢)] .

وفي حديث آخر عن ابن عباس ﵄ أن رجلا سأل مثل سؤال المرأة في شأن أمه فأجابه النبي ﷺ نحو جوابه لها قال: «**لو كان على أمك دين أكنت قاضيه عنها؟**» قال: نعم. قال: «**فدين الله أحق أن يقضى**» [(٣)].

وثمة أحاديث أخرى في الصحيح بمثل الحديثين السابقين، وفي أحدها أن امرأة سألت النبي ﷺ في أمها فقال: «**صومي عنها**»، قال: إنها لم تحج قط أفأحج عنها؟ قال: «**حجي عنها**».

وقد اختلف العلماء في حكم الصوم عن الميت، فمنهم من قال به، ومنهم من منعه ... فالشافعي وعلماء الشافعية قالوا باستحباب الصيام عن الميت، وتبرأ ذمة الميت، ولا يحتاج إلى إطعام عنه، فإذا أطعم عنه فلا يصام عن الميت، وولي الميت مخيَّر بين الصيام أو الإطعام.

وذهب الجمهور أنه لا يصام عن الميت، بل يطعم عنه، وقد رد الإمام

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

النووي رحمه الله على هؤلاء فقال: «وأي مانع يمنع من العمل بظاهر الحديث، مع تظاهر الأحاديث على الجواز، مع عدم المعارض لها».

وأجمع العلماء أنه لا يصام عن المسلم في حياته، ولا يُصلى عنه في حياته، ولا بعد وفاته، والخلاف في شأن الميت هل يصام عنه ...

وأما الحج عن المسلم في حياته أو بعد وفاته فلا خلاف في جواز ذلك على وجه الاستحباب دون الإيجاب، والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله ربِّ العالمين.

الفهرس

المقدمة ٥

الصلة بين رسول الله ﷺ وشهر رمضان المبارك..... ١٣

استعداد النبي ﷺ لرمضان من قبل نزول الوحي..... ١٣

نزول القرآن الكريم في رمضان..... ١٤

استعداد النبي ﷺ لرمضان بعد فرض صيامه وجلاء فضله ١٥

فضل الصيام وآدابه..... ١٨

مع النبي ﷺ في آداب الصيام ١٨

عن فطوره ﷺ..... ٢٢

ثبوت رؤية رمضان وشوال عند رسول الله ﷺ..... ٢٥

تعجيل فطره ﷺ وتعجيله للصلاة ٢٨

الرسول ﷺ في سحوره وإمساكه ٣١

وقت سحوره ﷺ..... ٣٢

في تبييته للنية قبل الفجر ٣٦

الرسول ﷺ مع أهله في رمضان..... ٣٩

مع النبي ﷺ في اعتكافه..... ٤٣

إيقاظه أهله ٤٦
دعاؤه ﷺ في رمضان ٤٨
إكثاره ﷺ من فعل الخيرات في رمضان ٥٥
تلاوته ﷺ للقرآن الكريم ٦٠
وصال الرسول ﷺ للصوم ونهيه عنه ٦٥
اغتساله ﷺ بين العشائين في رمضان..... ٦٩
الترهيب من الفطر في رمضان ٧١
مع النبي ﷺ في قيام رمضان..... ٧٦
صوم النبي ﷺ في السفر ٨٤
بعض أحكام الصيام..... ٨٦
١- قضاء رمضان..... ٨٦
٢ - حكم من أكل أو شرب ناسيا في رمضان ٨٨
٣- في المضمضة والاستنشاق والاغتسال والسواك ٩٠
مع النبي ﷺ في بدر ٩٣
يوم المعركة ٩٦
من دروس المعركة..... ٩٩
مع النبي ﷺ في فتح مكة ١٠٤
صلح الحديبية ١٠٤

الكفار ينقضون الصلح ١٠٥
الرسول يتوجه بجيشه إلى مكة ١٠٦
الرسول يرهب أبا سفيان باستعراض جيشه ١٠٧
دخول الرسول وجيشه مكة من كل جانب ١٠٨
خطبة الفتح ١٠٩
عبر ودروس في فتح مكة (شهر رمضان) ١٠٩
الرسول ﷺ في وداع رمضان ١١٩
مع النبي ﷺ في صدقة الفطر ١٢٣
مع النبي ﷺ في عيد الفطر ١٢٧
بعض أحكام الصيام في غير رمضان ١٣٢
تحريم صوم يومي العيدين وأيام التشريق ١٣٢
النهي عن صيام الدهر ١٣٤
صيام شعبان ١٣٨
صيام ستة أيام من شوال ١٤٠
صيام عشر ذي الحجة ١٤١
صيام عاشوراء ١٤٢
صوم المحرم..... ١٤٥
صيام ثلاثة أيام من كل شهر ١٤٧

صوم الخميس والاثنين ١٥٠
إجابة الصائم الدعوة والاعتذار عن الأكل ١٥١
من مات وعليه صوم ١٥٢